سلسلة النبي وأهل بيته قدوة وأسوة

٣

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى

السيد محمد تقي المدرسي

الإمام علي عليه السلام ١٤٣١

قدوة وأسوة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإمام علي عليه السلام

قُدوةٌ وأُسوةٌ

سلسلة النبي وأهل بيته قدوة وأسوة - ٣

الإمام علي عليه السلام

قدوة وأسوة

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج
السيد محمد تقي المدرسي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

محفوظة
جميع الحقوق

١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

هوية الكتاب:

* **الكتاب**: الإمام علي عليه السلام قدوة وأسوة.
* **المؤلف**: المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.
* **الطبعة**: الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
* **الناشر**: مركز العصر للثقافة والنشر، لبنان، بيروت. (alasrr@gmail.com).
دار كميل للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، طريق المطار،
ص.ب: ٧٩٥٧/ ١١ (dar_komail@yahoo.com).

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُستَقِيمَ ﴿٦﴾

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ

غَيرِ الْمَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾

تمهيد

الحمد لله، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

حين يقف المرء على محيط بعيد الشواطئ، عالي الموج يتردد كثيرًا قبل أن يخوض غماره؟.

كذلك تردّدتُ، قبل أن أقرر الكتابة حول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، بل بيّضت بعض الأوراق قبل عشرين عامًا في حياة إمام المتقين، ولَمّا أكملها حتى اليوم. ولولا أني فرضتُ على نفسي ذلك، بالنذر لَمَا اقتحمت هذه العقبة.

ولكن، إذا كانت حياته بحرًا زخّارًا واسع الأطراف، أفلا يخسر من لا يبل غليله منه ولو بقطرة؟!.

فهذه السحب الخيِّرة لا تزال تروي الأراضي الموات، أكثر من ألف عام فَيُحييها الربُّ بها، أفلا أُعرِّض قلبي لها، فلعل الله يُحييه فيما يُحيي؟.

حياته الفذة التي تكاد لا تنتهي عِبَرُها، أفلا أجعلها نبراسًا في ظلمات دهري؟ بلى.

والتزامًا مني بأسلوب هذه السلسلة (قدوة وأسوة) اجتهدت

في لملمة أطراف الموضوع قدر المستطاع، وأسأل الله إن يوفقني بفضله لإتمام المشروع، إنه ولي التوفيق.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الأول

الأَصلُ الكريمُ والميلادُ المُبارَكُ

وليدًا عظيمًا:

كانت مكة تحتفل بالوافدين إلى زيارة بيت الله الحرام، في الشهر الحرام، رجب الأصب. وكانت الوفود الكريمة تؤدي مناسك البيت، والناس يطوفون حوله، وينادون ربهم حينًا، والأصنام أحيانًا. وكانت هنالك امرأة كريمة، تطوف لا كما يطوفون، إذ كانت تتجه إلى الله وحده لا شريك له، فتغمر نفسَها ضراعةُ المتبتِّل، وخشوعُ المحتاج، ووقارُ المطمئن إلى فضل الله، تدعو الله وحده، وتسأله أن يُخفِّف عنها وطأة ما تخافه وتحذره.

لقد كانت أُمًّا لثلاثة أبناء وبنت واحدة، ولكن لم يشتد بها المخاض ولا عصر أعصابها كهذه المرة.

ودعت، فألحَّت في الدعاء لعل الله يخفف عنها آلام الطلق، وتضرَّعت فأبلغت في التضرع، وفي الجانب الغربي من البيت، إذ اجتمع طائفة من الحجاج، حدث أمر عجيب:

لقد كانت في أُخريات أشواطها، عند مقترب الركن اليماني، إذ انشق لها جانب البيت، وكأن نداءً خفيًّا يدعوها: أن ادخُلي بيت ربك!.

دخلت البيت، والناس يشهدون في ذهول ويصيحون صيحة العجب!. فيتقاطر عليهم سائر الطائفين، يسألون عن الحدث؟ وَمَنْ هذه السيدة التي كانت الساعة تطوف؟. إنها حفيدة هاشم بنت أسد، زوجة أبي طالب والدة أم هاني وطالب وعقيل وجعفر، إنها فاطمة!.

ويجتمع الناس وبينهم الزعماء والأشراف. وبعد مدة، ينشق الجانب ذاته، فتتهلَّل وجوه الحاضرين كما يتهلل وجه الوليد العظيم، وهو يتقلب على أذرع الوالدة الكريمة.

إنه حادث فريد من نوعه، أن ينشق طرف البيت، فتدخل الحامل وتلد في مركز الإشعاع الروحي والبركة الإلهية، بيت الله الحرام الذي يعتبر أقدس محل «يحترمه العرب».

وإنها لكرامة لبني هاشم على قريش، ولقريش على العرب أن يُوْلِيْهِم ربُّ البيت بهذه العناية، فيسمح لامرأة منهم أن تضع حملها ببطن بيته، مكرَّمًا ومعظَّمًا.

وسرت البشرى في بيوت الهاشميين!. وانطلقت نساؤها تزف تهانيها إلى فاطمة معجبة مغرمة. وجاء الزعماء يبشرون أبا طالب بالوليد العظيم، ومن بين هؤلاء فتى يهمه أمر الوليد أكثر من غيره، ينظر إليه لا كما ينظر الرجال الآخرون، إنه محمد بن عبد الله ﷺ الذي لم يزل يُحسب من عائلة أبي طالب.

فإذا تناول الوليد تلا آياتِ الله فأعجب به وبارك بولادته.

وقالوا: إن الوليد لم يفتح عينيه إلَّا على مُحيَّا ابن عمه النبي العظيم وسُمِّيَ عليًّا، واختارت أمه له اسم (حيدر)، وإذا كان هذا الاسم يوحي

باكتمال الجسم الذي يُبشَّر بالبطولة، فإن الاسم الآخر كان يوحي ببشائر السموِّ المعنوي.

الولادة المعجزة:

كانت لولادته -كما لمقتله- عليه السلام، شهادة حق على صدق رسالات الله. إنه آية الله العظمى في كل جوانب حياته، من ولادته إلى شهادته.

فلماذا تُحاط ولادة الرسل والأئمة بالآيات؟ فموسى عليه السلام يُقذف في التابوت ليلقيه اليم بالساحل، وليُصنع على عين الله.

وعيسى عليه السلام يولد من غير أب، ويكلِّم الناس في المهد صبيًّا.

وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ترافق ولادته حوادث عظيمة، تسقط شرفات قصر فارس، وتخمد نيرانهم، وتغيض بحيرة ساوة، وتفيض الأخرى في سماوة و... و.

والإمام علي يولد في الكعبة بعد أن ينشق لأمه فاطمة بنت أسد، جانب المستجار، لماذا؟.

هل لأنهم قد اصطفاهم الله لرسالاته قبل الولادة، حيث بادروا بالتلبية في عالم الذر قبل غيرهم من الصالحين، فاجتباهم على علم، وأبان فضلهم بالولادة المعجزة[1].

أم لأن الله سبحانه اطَّلع على مستقبل حياتهم، فأكرم مواقفهم المسؤولة التي يعلم أنهم سوف يختارونها بكل حرية فأكرم مثواهم،

(١) هكذا جاء في بعض النصوص المأثورة.

وجزاهم بطيب الولادة، وإعجازها؟..

أم لأن الرب سبحانه أراد بذلك أن يُكرِّم الأصلاب الشامخة والأرحام الطاهرة ممن ولدوهم، كما فعل بمريم الصدِّيقة، لمكانها عند ربها، أو بزكريا وزوجته عليهم السلام؟.

أم لأسباب أخرى؟.

ولكن الولادة المعجزة بلاغ مبين للناس، بشأن الوليد العظيم دون أدنى شك.

بعد أن خرجت أم علي عليها السلام تحمله، استقبله النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعلم أنه سيكون وصيَّه وخليفته، فعمَّ السرور قلبه الكبير.

ولم يتفارقا منذ تلك اللحظة حتى ارتحل عنه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى ربه، فلزم الوصي سنَّته حتى الشهادة.

وحين يصف الإمام بفخر عظيم تلك العلاقة الحميمة بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم لايدع لنا إشكالًا في أنها كانت من تقدير الله عزَّ وجلَّ، وأن لها آثارها في بلاغ رسالاته إلى الناس، يقول:

«أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيمًا أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ

أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَمًا وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ»[1].

الفتى المبارك:

ولم يزل يدرج ويترعرع متميزًا بين أترابه، في أعماله، وأقواله. ففي ذات يوم، وكان له آنذاك سنوات قلائل، وكان يلعب مع أترابه، إذ ينزلق أحد الأطفال بجانب بئر كانت هناك، وقبل أن يسقط فيها يلحقه علي عليه السلام فيأخذ منه عضوًا، فيعلق رأس الطفل إلى الأسفل وتمسك عضوه الأعلى يد عليّ، ويصيح الأطفال، ويأتي أهل الطفل، ويتعجبون للمنظر، وكان يسمّى عليٌّ مباركًا، فقالت والدة الطفل: أيها الناس! أترون مباركًا، كيف أنقذ ولدي من الهلاك.

وكانت الظروف صعبةً في مكة، وقد أصاب البلد الحرام قحط شديد، عمَّ بيت أبي طالب. فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى بعض أعمامه الأثرياء، يفاوضهم في الأمر، واقترح أن يتكفلوا أبناء عمه، فلما عرضوا عليه قال: أبقوا لي عقيلًا وخذوا من شئتم، فأخذ كل من العباس وحمزة عمّا النبيِّ وهالة بنت عبد المطلب عمته، واحدًا من أبناء أبي طالب، وبقي علي عليه السلام فإذا بالنبي يستدعيه ليكون له صاحبًا، فيغمره البُشر، ويأوي إليه كما يأوي الفصيل إلى أُمه.

إن عليًّا الذي فتح عينيه -أول ما فتحهما- على ملامح النبي صلى الله عليه وآله وسلم،

(١) نهج البلاغة الخطبة (١٩٢).

وظل مغمورًا ببركاته أيام صغره، إن عليًّا الذي رأى في محمد ﷺ الحب والحنان، وكل خصال الخير والجمال؛ لابد أن يأوي إليه ويُسارع إلى قبول كفالته له، ويفيض فرحًا بذلك وابتهاجًا.

أخذ علي، يتبع كفيله وحبيبه النبيَّ محمدًا ﷺ ويطمئن إليه بكل قلبه، ويقلده في كل عمل!

وذهب النبي ﷺ يغدق على ابن عمِّه كل ما أفاءت إليه رحمة الله، من آداب حِسان وخُلق كريم!

ولم يزل عليٌّ يرى النبي ﷺ دائم التفكير يقلّب وجهه في السماء يلتمس من ربه نورًا.

في تلك الأيام التي كان يتعبد النبي في غار حراء، كان علي يتدبر في عبادته، ويفكر فيها فيفهم معنى العبادة ومغزاها، ويؤمن بمن يعبده ويهتدي إليه بفطرته النقية التي لم يتسرب إليها الشك أبدًا!

إن عليًّا عليه السلام أُوتي من النبوغ والذكاء ما يُؤهله لكل ما كان النبي ﷺ مؤهلًا له. ومن الخطأ أن نحدّد أول وقت آمن فيه، فلقد كان مؤمنًا بفطرته ولا يصح لنا أن نقرن إيمانه بزمان دون زمان، هكذا عبر النبي ذات مرة إذ سأله رجل من المسلمين عن أول وقت آمن فيه الإمام علي فقال: إنه لم يكن كافرًا حتى يؤمن، كما أنه نفسه بيّن ذلك حين أكّد أنه لم يكن مسبوقًا بالشرك.

وعندما هبط الوحي على قلب محمد ﷺ وجاء النبيُّ إلى الإمام يخبره، انفتح قلبه على أمر موعود، وحقيقة منتظرة، ذلك اليوم كان عمر الإمام عشر سنوات، ولم يكن يعرف إنسانٌ طيب يمتاز عليه

من الآخرين، بل كانت فيه كل معاني الفضيلة والسمو: صدقه، أمانته، بره بالخلق، إحسانه، صلته للرحم وغير ذلك. أجل لم يكن هناك من يمتاز عليه غير محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله البر الكريم، فيكف لا يصدقه؟! وكيف لا يتبعه؟!.

وذات يوم دعاه النبي إلى الصلاة، فقام عليه السلام يتعلّم قواعدها ويتوجّه إلى المسجد الأقصى حيث القبلة الأولى للمسلمين. فيصلي بصلاة النبي، وتُصلي وراءهما خديجة زوجة الرسول. فهؤلاء ثلاثة ليس لهم الآن نظير على الأرض، يبتهلون إلى الله بركعات، يُرتّلون من آي الذكر الحكيم، ما يزيدهم هدى، ويملأ شعورهم إيمانًا واطمئنانًا.

لقد تشكّلت الآن أول خلية حيّة، بين ملايين الخلايا الميتة في المجتمع البشري. وهي تسعى لكي تزيد نفسها حجما وقوة، وتبعث الحياة -بإذن الله- إلى سائر الخلايا.

ومن هذا العقد من حياة علي عليه السلام يبتدئ عهده مع الجهاد والتضحية، لقد انتقل من بيت كفيله إلى بيت والده من سنتين، بيد أنه لا يزال يقضي غالب أوقاته في بيت خديجة قريبًا من الرسول صلى الله عليه وآله ليرفع له كل يوم علمًا في المعارف والآداب، فيتّبعه.

وظل الإسلام يتخذ من هذه الأنفس المباركة -أنفس محمد وعلي وخديجة- أولى قواعده وأزكاها، حتى اجتمع إليه رجال ونساء يتحدون بالإسلام الوضع الفاسد.

وظل دعاة الإسلام يبذلون في سبيل الدعوة طاقاتهم ودماءهم، حتى نمت شجرة الإسلام، وجاء الوحي يأمر النبي بأن يصدع بما يؤمر وينذر عشيرته الأقربين، ويُظهر الدعوة للناس أجمعين.

فأمر النبي عليًا عليه السلام أن يُهيِّئ طعامًا ويدعو بني هاشم إلى بيته. واجتمعوا إليه يقودهم أبو طالب سيدهم ووالي أمورهم.

فلما طَعِمُوا ورأوا أن قصعة الثريد، التي أكلوا منها لم ينقص منها شيء وعجبوا، وجاء النبي يكلمهم بشأن الدعوة راح عمه أبو لهب، يبعث كلماته الساخرة!!

إن أبا لهب كان من ألدِّ أعداء الإسلام، مع أنه كان من أقرب الناس رحمًا بالنبي صلى الله عليه وآله، ولم ينزل في القرآن آية تذكر فردًا من معاصري النبي بالسوء غير ما نزل في حق أبي لهب، وفي سورة كاملة تُبتدأ بقول شديد: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1].

وقد كان أول المستهزئين بالرسول، ذلك النهار، حيث قال بين فتيان بني هاشم الذين كانوا زهاء أربعين رجلًا، قال: لشدَّما سحركم صاحبكم، أي: ما أعجبه رجلًا قد سحركم. فتفرق القوم ولم يكلمهم الرسول صلى الله عليه وآله.

فلما كان من غد استضافهم علي عليه السلام مرة أخرى فجاؤوا وأكلوا وشربوا، وقبل أن يتكلم أبو لهب، ابتدأهم الرسول قائلًا: «**يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي وَاللهِ مَا أَعْلَمُ شَابًّا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلَ مِمَّا جِئْتُكُمْ بِهِ. إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ، فَأَيُّكُمْ يُؤْمِنُ بِي وَيُؤَازِرُنِي عَلَى أَمْرِي، فَيَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِي أَهْلِي مِنْ بَعْدِي؟**».

فأحجم القوم جميعًا، إلَّا عليًّا، وكان ذلك اليوم -كما يصف نفسه-

(١) سورة المسد، الآية: ١.

«وَإِنِّي لَأَحْدَثُهُمْ سِنًّا وَأَرْمَصُهُمْ[1] عَيْنًا، وَأَعْظَمُهُمْ بَطْنًا، وَأَحْمَشُهُمْ[2] سَاقًا، فَقُلْتُ أَنَا يَا نَبِيَّ اللهِ أَكُونُ وَزِيرَكَ عَلَى مَا بَعَثَكَ اللهُ بِهِ».

فأخذ برقبته ثم قال صلى الله عليه وآله: «إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا».

فَقَامَ الْقَوْمُ يَضْحَكُونَ وَيَقُولُونَ لِأَبِي طَالِبٍ عليه السلام: قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ لِابْنِكَ وَتُطِيعَ»[3].

وظلّت هذه الدعوة تتراوح بين علي عليه السلام وخديجة عليها السلام ثلاث سنوات، وكان النبي صلى الله عليه وآله يصلي بهم في خفاء، ويؤدي بهم مناسك الحج على سنّة الإسلام، حنيفًا بها عما كان يأتيه أهل الجاهلية.

فلقد أُثر عن عبد الله بن مسعود قوله: «إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ عَلِمْتُهُ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله قَدِمْتُ مَكَّةَ فِي عُمُومَةٍ لِي فَأَرْشَدُونَا إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَانْتَهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ إِلَى مَنْ ثَمَّ[4] فَجَلَسْنَا إِلَيْهِ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذَ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَابِ الصَّفَا تَعْلُوهُ حُمْرَةٌ وَلَهُ وَفْرَةٌ جَعْدَةٌ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ أَقْنَى الْأَنْفِ بَرَّاقُ الثَّنَايَا أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ[5] كَثُّ اللِّحْيَةِ[6] دَقِيقُ الْمَسْرُبَةِ[7] شَثْنُ الْكَفَّيْنِ[8] حَسَنُ الْوَجْهِ مَعَهُ مُرَاهِقٌ أَوْ مُحْتَلِمٌ تَقْفُوهُ

(١) الرمص وسخ يجتمع في موق العين، فإن سال فهو غمص، وإن جمد فهو رمص.
(٢) يقال رجل حمش الساقين بمفتوحة فساكنة فمعجمة أي دقيقهما.
(٣) بحار الأنوار، ج١٨، ص١٩١.
(٤) لعل مراده أنه كان جالسًا عند جماعة هناك.
(٥) أي شديد السواد مع سعتها.
(٦) مجتمع الشعر: غير طويل.
(٧) المسربة: الشعر وسط الصدر إلى البطن.
(٨) غليظ الكفين.

امْرَأَةٌ قَدْ سَتَرَتْ مَحَاسِنَهَا حَتَّى قَصَدُوا نَحْوَ الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ اسْتَلَمَهُ الْغُلَامُ ثُمَّ اسْتَلَمَتْهُ الْمَرْأَةُ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَالْغُلَامُ وَالْمَرْأَةُ يَطُوفَانِ مَعَهُ. فَقُلْنَا: يَا أَبَا الْفَضْلِ إِنَّ هَذَا الدِّينَ لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُهُ فِيكُمْ أَوَشَيْءٌ حَدَثَ؟.

قَالَ: هَذَا ابْنُ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَالْغُلَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَالْمَرْأَةُ امْرَأَتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى بِهَذَا الدِّينِ إِلَّا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ»[1].

وقال عفيف الكندي: «كُنْتُ امْرَأً تَاجِرًا، فَقَدِمْتُ الْحَجَّ فَأَتَيْتُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لِأَبْتَاعَ مِنْهُ بَعْضَ التِّجَارَةِ، وَكَانَ امْرَأً تَاجِرًا، فَوَ اللهِ إِنِّي لَعِنْدَهُ بِمِنًى إِذْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ خِبَاءٍ قَرِيبٍ مِنْهُ فَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ، فَلَمَّا رَآهَا قَدْ مَالَتْ قَامَ يُصَلِّي.

قَالَ: ثُمَّ خَرَجَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْخِبَاءِ الَّذِي خَرَجَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْهُ فَقَامَتْ خَلْفَهُ فَصَلَّتْ ثُمَّ خَرَجَ غُلَامٌ حِينَ رَاهَقَ الْحُلُمَ مِنْ ذَلِكَ الْخِبَاءِ فَقَامَ مَعَهُ فَصَلَّى.

فَقُلْتُ: لِلْعَبَّاسِ مَنْ هَذَا يَا عَبَّاسُ؟.

قَالَ: هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنُ أَخِي.

فَقُلْتُ: مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ؟.

قَالَ: امْرَأَتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ.

فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الْفَتَى؟.

(١) بحار الأنوار، ج٣٨، ص٢٤٣.

قَالَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ابْنُ عَمِّهِ عليه السلام.

فَقُلْتُ لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي يَصْنَعُ؟.

قَالَ: يُصَلِّي وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَلَمْ يَتَّبِعْهُ عَلَى أَمْرِهِ إِلَّا امْرَأَتُهُ وَابْنُ عَمِّهِ هَذَا الْفَتَى، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَتُفْتَحُ عَلَيْهِ كُنُوزُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ»[1].

ومضت على الدعوة مدة، وعليٌّ عليه السلام يستقيم على الصراط السوي، ويقاوم الضغوط، ويصوغ الوحي شخصيته الفذة.

ثم التفَّ حول الدعوة رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر ربهم. فلما أمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة إلى الحبشة وأمَّر عليهم جعفرًا أخا عليٍّ عليه السلام، قامت قيامة قريش الذين رأوا من مناوئهم -العظيم- القوة وحسن التدبير، فأخذوا يدرسون خطة أخرى أشد وأقسى مما سبق، وذلك بفرض حصار اجتماعي على بني هاشم زاعمين أنهم شذُّوا عن النظام الاجتماعي السائد.

فدبروا أمر الصحيفة الملعونة، حيث أجمعوا على ألَّا يخالط النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ومن دار في أفقه من الهاشميين، وعلى رأسهم سيدهم أبو طالب، ولا يعاملهم أحدٌ أبدًا. فجمع أبو طالب أهله في شِعْبٍ له، وذبَّ عنهم بما كان لديه من طاقة وسلطان.

وتلك كانت فرصة سانحة للإمام عليّ عليه السلام أن ينهل، من نبع النبي الفيّاض، كلَّ مكرمة وفضيلة ومعرفة، كما استطاع أيضًا أن يمارس جهاده الشاق طيلة ثلاث سنوات.

ولعل هذا كان أول ميادين الجهاد التي خاضها ابن أبي طالب عليه السلام

(١) بحار الأنوار، ج٣٨، ص٢٤٣.

ولكن كان له من قبله جهاد آخر، إلّا أنه ليس في هذا المستوى، وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر بطرقات مكة فيرشقه أبناء مكة بالحجارة والحصى، بأمرٍ من أوليائهم، ولم يكن صلى الله عليه وآله وسلم يعبأ بذلك، بيد أن عليًّا عليه السلام كان يصاحبه، فإذا أساء أحدهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذه وجدع أذنه، وكان عليّ عليه السلام قويًّا منذ صباه وشجاعًا، وكان كذلك مهيبًا في أعين أترابه، فإذا رأوه يمشي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا لبعضهم: «مهلًا فإن معه القَضِم». أي الذي يقضم أنوفهم وآذانهم.

الفصل الثاني

حياتُهُ في عهدِ الرسولِ صلى الله عليه وآله

الهجرة:

وبعدما نُقضت الصحيفة الملعونة ولم تفتَّ في عضد الدعوة، واضطرت قريش أن تسمح لبني هاشم بالدخول في رباع مكة، والاختلاط مع الناس، أصاب المرض عمَّه وكفيله أبا طالب، كما أصاب زوجته الوفية خديجة عليها السلام، لما كانا قد لاقياه في الشعب من العنت، فماتا في السنة التالية التي سُمِّيت بعام الحزن، وفقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكبر معين وأشد ركن يعتمد عليه في الملمَّات.

وعزم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الهجرة إلى المدينة المنورة، وعزم الكفار أن يقتلوه غِيلة قبل أن يهاجر إليها، وانتخبوا من بينهم ثلاثين مقاتلًا مغامرًا، يهجمون على دار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلًا فيقتلونه، وينتمي كل منهم إلى بطن من قريش فيضيع دمه بين قريش جميعًا. وجاء نبأ ذلك إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرسم خطة مسيره إلى المدينة، وذلك بأن يتجه تحت جنح الظلام إلى غار ثور، ثم يتخذ طريقًا منحرفًا عن الجادة إلى المدينة، بيد أن الخطة كان يعوزها شيء واحد، وهو أن هؤلاء الفتية من قريش إذا عرفوا خروج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أول الليل، فإنهم سوف ينتشرون حول مكة بحثًا عنه، ولا محالة سوف يجدونه، وإن وجدوه قتلوه، فقرر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يموِّه عليهم بأن ينام

مكانه شخص، ليُخَيَّل إليهم أنه النبي، ولن يكتشفوا الحقيقة إلَّا بعد أن يكون النبي مبتعدًا عن مكة أميالًا أو يستقر في غار ثور فعلًا.

ولكن من هو ذلك الذي يُقدم على الموت على الفراش؟. وليس في ساحة الحرب، حيث الثورة والهياج وحيث يُقاتِل فَيَقتُل ويُقتَل، بل حين الموت على الفراش لا يدافع عن نفسه، ولا تثور أعصابه، ولا يقوم بحركة!.

إن لهذه المهمة رجلًا واحدًا فقط، هو ابن أبي طالب!! إنه لا يتهيَّب أبدًا وَقَعَ الموت عليه، أو وَقَعَ هو على الموت.

وجاء إليه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يعرض عليه أمر الهجرة، ويأمره بالمهمة، فإذا بعليٍّ عليه السلام، وكأنه قد بُشِّر بملك الدنيا، يرحب بها بعد أن يَطْمَئِنَّ إلى سلامة الرسول. وينجو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أيدي المتآمرين، ويتقلب الإمام عليه السلام على فراشه، وتلمع حول البيت سيوف تنتظر الفجر لتهجم على المستلقي على الفراش فتقطعه إربًا إربًا، وعندما اقترب الصبح، رمَوا حجرًا إليه، فلم يتحرك، ثم رمَوا الثاني، وعندما رمَوا الثالث قام من مكانه، فقال قائلهم: من هذا؟. إنه ابن أبي طالب. قالوا له: اين محمدٌ؟. قَالَ عليه السلام: **أَ جَعَلْتُمُونِي عَلَيْهِ رَقِيبًا...**»[1].

فأراد بعضهم أن يفتك به، ولكن منعه الآخرون، وأنجاه الله من شرّهم.

وكان على الإمام عليه السلام مهمة كبيرة أخرى، تلك مسؤولية حمل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وضعفاء المسلمين المتخلفين في مكة إلى المدينة.

وكانت مهمة شاقة؛ حيث إن أهل مكة حينما عرفوا بغياب النبي تميَّزوا

(١) بحار الأنوار، ج١٩، ص٥٠.

غيضًا، لما علموا أنَّ تَخَلُّصَ النبي من أيديهم سوف يكلِّفهم كثيرًا. فعزموا على أن يمنعوا بقية أصحابه من الالتحاق به بكل وسيلة، وراحوا يراقبونهم، مراقبة شديدة، ألَّا يفلتوا من أيديهم، وعلى رأس هؤلاء أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعياله.

وبعد مدة جمع علي عليه السلام أمره، وخرج -خِفيةً- بالفواطم: فاطمة الزهراء عليها السلام بنت (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، وفاطمة بنت أسد عليها السلام (والدة الإمام عليه السلام)، وفاطمة بنت الزبير (عمته)، وبعض الضعفاء من المسلمين يريدون المدينة، وكانوا قد ابتعدوا عن مكة أميالًا، عندما علم أهل مكة بالأمر، فجهزوا سَرِيَّة سريعة إلى الركب لإعادته قسرًا إلى مكة، وكانت السرية بقيادة جناح، مولى حارث بن أمية.

فجاءت حتى إذا بلغت الركب، التفت إليهم علي عليه السلام فحمل عليه جناح بسيفه فأسرع علي عليه السلام وأخذ السيف من يده، وضربه ضربة فأرداه قتيلًا، واستسلم سائر الأفراد لما رأوا من شجاعة علي عليه السلام وقوّة بأسه، فتركهم الإمام، وحث راحلته إلى المدينة.

غزوة بدر:

وحشدت قريش قواها، لتحارب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أخذ يكوِّن في مهجره مجتمعًا إسلاميًّا يهدد الظالمين، فإذا بها ترسل إلى المدينة ألف مسلح شجاع، وجنَّد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها ما كان يملك من قوة عسكرية فالتقى الجمعان في منطقة (بدر).

وفي يوم السابع عشر من شهر رمضان في السنة الأولى من الهجرة، ابتدأ الفريقان بالمبارزة. وكان من بينهم ثلاثة من الشجعان يدعون: شيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن ربيعة، فبرزوا

للحرب وطالبوا بأقرانهم من قريش، فأنهض رسول الله عبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وعليًّا عليه السلام، فراح الإمام حتى قتل الوليد وشيبة، وشارك في قتل الآخر.

وبذلك فقدت قريش أشجع أبطالها. وبعد مبارزة أخرى قتل فيها علي عليه السلام حنظلة بن أبي سفيان، والعاص بن سعيد بن العاص ورجالًا آخرين من شجعان مكة؛ انهزموا وانتصر المسلمون بإذن الله تعالى.

غزوة أُحد:

ورجع جيش مكة منهزمًا وقد قتل شجعانه وأبطاله. فأخذت سلطة الأشراف تستعد لشنِّ حملة أخرى، تغسل بها ما أصابها في بدر من عارٍ وذلٍّ، وتُبيد بها دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته.

ويصف الإمام علي عليه السلام هذه الغزوة، فيقول: «**فَإِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَقْبَلُوا إِلَيْنَا عَلَى بَكْرَةِ أَبِيهِمْ قَدِ اسْتَحَاشُوا (أَيْ حَرَّضُوْا وَجَمَعُوْا) مَنْ يَلِيهِمْ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ وَقُرَيْشٍ، طَالِبِينَ بِثَأْرِ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، فَهَبَطَ جَبْرَئِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَنْبَأَهُ بِذَلِكَ فَذَهَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وَعَسْكَرَ بِأَصْحَابِهِ فِي سَدِّ أُحُدٍ، وَأَقْبَلَ الْمُشْرِكُونَ إِلَيْنَا فَحَمَلُوا عَلَيْنَا حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنِ اسْتُشْهِدَ، وَكَانَ مِمَّنْ بَقِيَ مَا كَانَ مِنَ الْهَزِيمَةِ وَبَقِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم.**

وَمَضَى الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ إِلَى مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْمَدِينَةِ كُلٌّ يَقُولُ قُتِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وَقُتِلَ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ ضَرَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وُجُوهَ الْمُشْرِكِينَ. وَقَدْ جُرِحْتُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم نَيِّفًا وَسَبْعِينَ جَرْحَةً مِنْهَا هَذِهِ وَهَذِهِ.

ثُمَّ أَلْقَى عليه السلام رِدَاءَهُ وَأَمَرَّ يَدَهُ عَلَى جِرَاحَاتِهِ»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٣٨، ص١٦٩.

غزوة الأحزاب:

ثم كانت الأحزاب، حيث تجمعت قريش والأعراب لمحاربة الإسلام من جديد. ويصف ذلك الإمام عليه السلام ويقول: «**وَعَقَدَتْ بَيْنَهَا عَقْدًا وَمِيثَاقًا لَا تَرْجِعُ مِنْ وَجْهِهَا حَتَّى تَقْتُلَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وَتَقْتُلَنَا مَعَهُ -مَعَاشِرَ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ-، ثُمَّ أَقْبَلَتْ بِحَدِّهَا وَحَدِيدِهَا، حَتَّى أَنَاخَتْ عَلَيْنَا بِالمَدِينَةِ وَاثِقَةً بِأَنْفُسِهَا فِيمَا تَوَجَّهَتْ لَهُ، فَهَبَطَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فَأَنْبَأَهُ بِذَلِكَ، فَخَنْدَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَقَدِمَتْ قُرَيْشٌ فَأَقَامَتْ عَلَى الْخَنْدَقِ مُحَاصِرَةً لَنَا، تَرَى فِي أَنْفُسِهَا الْقُوَّةَ وَفِينَا الضَّعْفَ، تُرْعِدُ وَتُبْرِقُ وَرَسُولُ الله صلى الله عليه وآله يَدْعُوهَا إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَيُنَاشِدُهَا بِالْقَرَابَةِ وَالرَّحِمِ فَتَأْبَى وَلَا يَزِيدُهَا ذَلِكَ إِلَّا عُتُوًّا. وَفَارِسُهَا وَفَارِسُ الْعَرَبِ يَوْمَئِذٍ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ يَهْدِرُ كَالْبَعِيرِ المُغْتَلِمِ يَدْعُو إِلَى الْبِرَازِ وَيَرْتَجِزُ وَيَخْطِرُ بِرُمْحِهِ مَرَّةً وَبِسَيْفِهِ مَرَّةً، لَا يُقْدِمُ عَلَيْهِ يَطْمَعُ فِيهِ طَامِعٌ لَا حَمِيَّةٌ تُهَيِّجُهُ وَلَا بَصِيرَةٌ تُشَجِّعُهُ فَأَنْهَضَنِي إِلَيْهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وَعَمَّمَنِي بِيَدِهِ وَأَعْطَانِي سَيْفَهُ هَذَا -وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى ذِي الْفَقَارِ- فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ وَنِسَاءُ أَهْلِ المَدِينَةِ بَوَاكِي [بَوَاكٍ] إِشْفَاقًا عَلَيَّ مِنِ ابْنِ عَبْدِ وُدٍّ فَقَتَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَدِي، وَالْعَرَبُ لَا تَعْدِلُهَا فَارِسًا غَيْرَهُ وَضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ -وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى هَامَتِهِ- فَهَزَمَ اللهُ قُرَيْشًا وَالْعَرَبَ بِذَلِكَ وَبِمَا كَانَ مِنِّي فِيهِمْ مِنَ النِّكَايَةِ**»[1].

بل كانت تلك هي الضربة التي عَدَلَها النبي صلى الله عليه وآله بعبادة الثقلين، فرجحت، وقال: «**ضَرْبَةُ عَلِيٍّ يَوْمَ الخَنْدَقِ تَعْدِلُ عِبَادَةَ الثَّقَلَيْنِ**»[2].

ومضى أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله يمجّدون تلك الضربة التي

(١) بحار الأنوار، ج٢٠، ص٢٤٣.
(٢) حديث مجمع عليه بين المسلمين.

أنقذت المسلمين من أخطر هجوم عسكري قام به كلُّ مستكبري قريش والقبائل المشركة، بالتعاون مع اليهود والمنافقين.

يروي الشيخ المفيد في إرشاده، عن قيس بن الربيع عن أبي هارون السعدي، أنه قال: «أتيت حذيفة اليمان فقلت له: يا أبا عبد الله، إنا نتحدث عن عليٍّ ومناقبه، فيقول لنا أهل البصرة: إنكم تُفرطون في علي، فهل أنت محدثي بحديث فيه؟.

فقال حذيفة: يا أبا هارون!. وما تسألني عن علي؟. فوالذي نفسي بيده لو وُضعت جميع أعمال أصحاب محمد في كفة الميزان، منذ بُعِث محمد ﷺ إلى يوم القيامة، وَوُضع عمل علي في الكفة الأخرى، لَرجح عمل عليٍّ على جميع أعمالهم.

فقال: هذا الذي لا يُقام له ولا يُقعد ولا يُحمل.

فقال حذيفة: يا لكع!. وكيف لا يُحمل، وأين كان فلان وفلان، وجميع أصحاب محمد ﷺ يوم عمرو بن عبد ودّ العامري، وقد دعا إلى البراز، فأحجم الناس كلهم ما خلا عليًّا فإنه برز إليه وقتله الله على يده؟. والذي نفسي بيده، لَعَمَلُه ذاك أعظم أجرًا من أعمال أصحاب محمد إلى يوم القيامة»[1].

وبعد وقعة الخندق، سار النبي إلى مكة، وكان يحب أن يدخل مكة معتمرًا، ومعه عدد كبير من المسلمين.

فأعطى اللواء لعلي عليه السلام، فلما وصل مشارف مكة منعته قريش منها، واجتمع أصحاب الرسول تحت شجرة هناك وبايعوه على الموت بما سُمِّيَ بعدئذ ببيعة الرضوان، وقال بعض المفسرين: نزلت الآية

(١) الإرشاد، ج١، ص١٠٠.

الكريمة فيها: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1].

فلما رأت قريش مدى استعداد المسلمين للقتال طلبوا الصلح، والهدنة، وكان من بين بنود الصلح التي أصرت قريش عليه ورفضه النبي صلى الله عليه وآله أنهم قالوا: «يَا رَسُولَ الله! قَدْ خَرَجَ إِلَيْكَ نَاسٌ مِنْ أَبْنَائِنَا وَإِخْوَانِنَا وَأَرِقَّائِنَا وَلَيْسَ بِهِمْ فِقْهٌ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا فِرَارًا مِنْ أَمْوَالِنَا وَضِيَاعِنَا فَارْدُدْهُمْ إِلَيْنَا. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِقْهٌ فِي الدِّينِ سَنُفَقِّهُهُمْ.

فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله: **يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لَيَبْعَثَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُمْ بِالسَّيْفِ عَلَى الدِّينِ قَدِ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ.**

قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ: مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ الله؟.

قَالَ صلى الله عليه وآله: **هُوَ خَاصِفُ النَّعْلِ.**

وَكَانَ قَدْ أَعْطَى عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا»[2].

هكذا نعرف مدى خشية قريش، وسائر المشركين من بأس الإمام عليه السلام، وأنه كان سيف الله الذي لا ينبو، وسهم الإسلام الذي لا يُخطئ، يبعثه النبي صلى الله عليه وآله متى أحسَّ بالخطر على الدِّين، ويُنذر به الأعداء متى ما تمادوا في الغيّ.

كيف اقتحم الإمام عليه السلام حصون خيبر؟

كان اليهود يشكِّلون خطرًا كبيرًا في الجزيرة العربية، وكانوا يتحصَّنون بمواقع جيدة، ربما تشبه مستعمراتهم اليوم في أرض فلسطين. وكانوا قد

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٠، ص ٣٤٤.

نقضوا عهدهم مع الرسول، وشاركوا في حرب المشركين في الأحزاب ضد المسلمين، فلما استراح المسلمون من شر قريش، بسبب صلح الحديبية السابق، انعطف النبي ﷺ بأصحابه على أعظم قلاعهم في خيبر وحاصرها. وكان النبي ﷺ يبعث كل يوم قائدًا من المسلمين لاقتحامها فيعود خائبًا.

ويروي ابن إسحاق أن النبي ﷺ بعث أبا بكر ثم عمر، فما فتح الله على أيديهما شيئًا. وبعث غيرهما فعادوا جميعًا خائبين، فقال كلمته المعروفة: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»(١).

فتمنى كلٌّ أن يكون هو!. لعلمهم بأن عليًّا أرمد العينين، ولكنه حين أصبح نادى: أين علي؟ فلما جيء به مُعصَّب العين من شدة الألم، مسح عليها فأزال الله مرضها واندفع الإمام يحمل راية النصر. واشتبك مع طلائع اليهود، وقتل بطلهم المعروف (مرحبًا) بضربة صاعقة قدَّت مغفرته، ووصلت إلى أضراسه، فولّى اليهود منهزمين إلى حصونهم التي اقتحمها الإمام عليه السلام وقلع باب خيبر العظيم وتترَّس به، وكانت تلك من آيات النصر الإلهي التي تجلَّت على يد أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وبعد عودة المسلمين إلى المدينة، ونقض قريش لمعاهداتهم في صلح الحديبية الذي كتب الإمام بُنودَه، استعدَّ الرسول ﷺ لفتح مكة. وكان يريدها مفاجأة، إلَّا أن بعض ضعفاء النفوس تجسَّس لقريش مجَّانًا، فكتب رسالة إليهم يُنْبِئُهُم بخبر التعبئة، وسلَّمها لزوجته وسارت بها إلى مكة، وأنبأ جبرائيل النبي ﷺ بذلك فسيّر إليها عليًّا والزبير.

فلما أوقفاها، أنكرت وعاد الزبير أدراجه، إلَّا أن الإمام امتشط سيفه، وأنكر على الزبير رقته لها. وقال عليه السلام: «إن رسول الله يخبرنا بأنها

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٢.

تحمل كتابًا إلى أهل مكة، وتقول أنت بأنها لاتحمل شيئًا؟.

ثم قال للمرأة: والله إن لم تخرجي الكتاب لأكشفنك. فأخرجت له الكتاب من عقيصتها».

وهكذا حافظ الإمام عليه السلام -بأمر من الرسول صلى الله عليه وآله- على سِرِّيَّة الحركة، وسار الجيش البالغ اثني عشر ألف مقاتل، وأعطى الرسول الراية لعلي عليه السلام الذي دخل مكة وهو يقول: «**اليَوْمُ يَوْمُ المَرْحَمَةِ**». إيذانًا بالعفو العام الذي أصدره النبي صلى الله عليه وآله بعدئذ، وقال لهم: «**اذْهَبُوْا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»(١).

وحطَّم الأصنام التي على الكعبة، حيث حمل النبي صلى الله عليه وآله الإمام وأمره بأن يحطم أصنام قريش، ففعل عليه السلام.

ويوم حنين:

لقد تم فتح مكة بيسر لم يحلم به المسلمون، ودبّ إلى قلوبهم الغرور، ولكنهم لم يهنؤوا به طويلًا إذ استقبلهم خطر عظيم فها هي هوازن وثقيف وحلفاؤهم المشركون، يُعَبِّئون كل طاقاتهم للهجوم على المسلمين، فيُجهِّزون جيشًا يبلغ ثلاثة أضعاف جيش الإسلام. وحين بادرهم الرسول صلى الله عليه وآله بالخروج إليهم استفادوا من خبرتهم بأرضهم، فكمنوا له في مضيق جبلي لابدّ من مرور جيش الإسلام به في وادي حنين، وهي من أودية منطقة تهامة. ويصف المعركة بعض مشاهديها قائلًا: «فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله الْغَدَاةَ انْحَدَرَ فِي وَادِي حُنَيْنٍ وَهُوَ وَادٍ لَهُ انْحِدَارٌ بَعِيدٌ وَكَانَتْ بَنُو سُلَيْم عَلَى مُقَدِّمَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ كَتَائِبُ هَوَازِنَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ فَانْهَزَمَتْ بَنُو سُلَيْمٍ وَانْهَزَمَ مَنْ وَرَاءَهُمْ وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ إِلَّا انْهَزَمَ وَبَقِيَ

(١) بحار الأنوار، ج١٩، ص١٨٠.

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُقَاتِلُهُمْ فِي نَفَرٍ قَلِيلٍ. وَمَرَّ الْمُنْهَزِمُونَ بِرَسُولِ الله صلى الله عليه وآله لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ. وَكَانَ الْعَبَّاسُ آخِذًا بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله عَنْ يَمِينِهِ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنْ يَسَارِهِ..[1].

وثبت الرسول وحوله الفتية من بني هاشم يتقدمهم علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي أخذ يكشف الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، ويضرب بالسيف يمنةً ويسرةً، فلم يقترب إلى الرسول أحد إلَّا وضربه بسيفه. ونادى العباس عم النبي برفيع صوته وبأمر الرسول صلى الله عليه وآله: يا أهل بيعة الشجرة، يا أهل بيعة الرضوان، إلى اين تفرُّون عن الله ورسوله، فعادت طائفة منهم بلغت زهاء مائة فبرز (جرول) حامل راية هوازن فتحاماه الناس لصولاته الشديدة، فبرز إليه علي عليه السلام وقتله فدبَّ الذُّعر في نفوس القوم، وقتل الإمام منهم أربعين بطلًا وعاد المسلمون إلى المعركة، والْتَحم الجيشان، وأخذ النبي صلى الله عليه وآله حفنة من التراب وأعطاها للإمام فألقاها في وجه المشركين وهو يقول: «**شَاهَتِ الوُجُوْهُ**»[2].

وخلال ساعات دارت المعركة على الكفار وتركوا أرض المعركة، وفيها نساؤهم وأطفالهم وأموالهم، وحمل الإمام علي عليه السلام وسام النصر كعادته في كل الحروب.

وحين استخلفه الرسول على المدينة:

وعاد الرسول إلى المدينة، فانتهى إليه، في العام التاسع من الهجرة، خبر مفاده: أن الروم يُعِدُّون جيشًا لغزو البلاد الإسلامية. فَعَبَّأ قواته لمواجهتهم، وكان ذلك أول مواجهة -لو تمت- بين المسلمين والكفار خارج الجزيرة،

(١) بحار الأنوار، ج٢٠، ص٥٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٢٠، ص٥٢.

وبالذات مع الإمبراطورية الرومانية العظيمة، وكان من الحكمة أن يرتب الرسول أمور بلاد العرب بصورة تامة حتى إذا لم تقدّر له العودة، تكون البلاد الإسلامية بأيدٍ أمينة، تأمن شر الاعتداءات الخارجية والمؤامرات الداخلية التي كانت قد أضحت في تلك الفترة متنامية بسبب دخول مجاميع من الناس في الإسلام ليحفظوا دماءهم ويحصلوا على مغانم ومكاسب.

وهكذا استخلف النبي عليًّا مكانه، إلَّا أن المنافقين الذين كانوا ينتظرون فرصة كهذه، ليقفزوا إلى السلطة أو ليعيثوا فسادًا في أرض الجزيرة، راحوا يبثون شائعات بأن النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم إنما استخلف عليًّا لأنه لم يحب أن يكون معه، فحمل الإمام سيفه وسلاحه ولحق بالرسول في منطقة (الجرف) فأخبره بمقالة المنافقين، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**ارْجِعْ يَا أَخِي إِلَى مَكَانِكَ، فَإِنَّ الْمَدِينَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِي أَوْ بِكَ، فَأَنْتَ خَلِيفَتِي فِي أَهْلِ بَيْتِي وَدَارِ هِجْرَتِي وَقَوْمِي، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»[1].

ولعل وراء استخلاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم للإمام عليه السلام وتسليمه شؤون البلاد الإسلامية أثناء غيابه عنها، حكمة بالغة، إذ إن عليًّا وصيُّه الذي اختاره الله له وأعلن ذلك للناس منذ (يوم الدار) حين أنذر عشيرته الأقربين، فلابد إذن من تمهيد الظروف لذلك. ويوحي بهذه الحكمة ما نجده في مسند أحمد من قوله صلى الله عليه وآله وسلم بعدئذ -حسب هذا المصدر-: «**لَا يَنْبَغِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَّا وَأَنْتَ خَلِيفَتِي**»[2].

ويا ليت شعري، كيف لا يترك الرسول المدينة إلَّا وعلي خليفته، ثم يترك الدنيا دون أن يستخلف عليًّا عليه السلام؟.

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٢٠٨.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج١، ص٣٣١.

الغارة التي خَلَّدها الكتاب:

أذعنت الجزيرة العربية لحكم الله، بعد فتح مكة ومعركة حنين، إلَّا أن الأعراب الذين كان دأبهم الغزو، تجمَّعوا في منطقة قريبة من المدينة وأرادوا الإغارة عليها على حين غفلة من أهلها. فلما انتهى خبرهم إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ندب لهم أبا بكر ثم عُمَرَ ثم عمرو بن العاص، ولكنهم كانوا يؤثرون الانسحاب بسبب تحصُّن الأعراب بوادٍ هناك يُسَمَّى وادي الرمل، كان صعب المسالك كثير الأحجار، وكان موقع المدافعين الحصين سببًا لكثرة إصابات المسلمين.

وكعادة الرسول في الاستعانة بعلي عليه السلام عند الشدائد، أرسله وضمَّ إليه القيادات السابقة، فمضى إليهم الإمام يكمن بالنهار ويسير بالليل، فلما اقترب منهم وحاصر مواقعهم في الليل، انقض عليهم أول الفجر، وأمعن فيهم قتلًا وأسرًا حتى استسلموا.

وذات صباح صلَّى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين صلاة الغداة وقرأ عليهم فيها سورة لم يسمعوها من قبل: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾[1].

فلما سألوه عنها قال: «نَعَمْ إِنَّ عَلِيًّا قَدْ ظَفِرَ بِأَعْدَاءِ اللهِ وَبَشَّرَنِي بِذَلِكَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ»[2].

وحين عاد الإمام عليه السلام استقبله النبيّ صلى الله عليه وآله والمسلمون معه، فترجَّل الإمام عن فرسه احترامًا للرسول فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «ارْكَبْ فَإِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ عَنْكَ رَاضِيَانِ».

(١) سورة العاديات، الآية: ١ - ٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص٦٦.

وأضاف: «يَا عَلِيُّ! لَوْ لَا أَنِّي أُشْفِقُ أَنْ تَقُولَ فِيكَ طَوَائِفُ مِنْ أُمَّتِي مَا قَالَتِ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ لَقُلْتُ فِيكَ الْيَوْمَ مَقَالًا لَا تَمُرُّ بِمَلَإٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَخَذُوا التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ»[1].

وهكذا كان الإمام عليه السلام سيف الإسلام الذي لا ينبو، يُوجِّهه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث يُحدق الخطر بالرسالة، وقد بعثه مرتين إلى اليمن -حسب الأخبار- حيث أسلمت على يَديه قبائلها، وبالذات قبائل همدان.

بيعة غدير خم:

وفي السنة العاشرة بعد الهجرة -حين عزم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المسير إلى مكة وأداء الحج الأخير الذي سمي (بحجة الوداع)- كان الإمام عليه السلام في اليمن أو نجران. فكتب إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن يوافيه في مكة حاجًّا، وقد أُوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه راحل عن أمته.

فلما قفلوا عن مكة راجعين، أوقف الرسول الركب بمنطقة تسمى بـ(غدير خم) حيث نزلت عليه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2].

فقام في الناس خطيبًا وقال في مستهل حديثه: «كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ».

وأضاف صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِّي فِيهِمَا، فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».

ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ».

---

(١) بحار الأنوار، ج٢١، ص٧٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقَالَ: «مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»[1].

ثم أفرد النبي لعلي خيمة وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجًا فوجًا ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل ذلك كلهم حتى من كان معه من أزواجه ونساء المسلمين.

فأنزل الله تعالى على رسوله ما يعتبر إعلانًا عن خاتمة الوحي: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2].

وانتشرت في الآفاق أنباء استخلاف النبي لوصيه الإمام علي!. ولكن النبي صلى الله عليه وآله الذي كان أخبر قائدٍ بالناس من حوله، كان يعلم أن الكثير من التمهيد يحتاج إليه المسلمون، خصوصًا وقد تكاثر عدد الوصوليين بينهم بعد فتح مكة، وإن الكثيرين منهم يطالبون عليًّا بأوتار الجاهلية، فلا يقبلون بولاية الإمام عليه السلام بسهولة.

كما أحيط علمًا بالمؤامرات التي كانت تجري في البلاد للسيطرة على الحكم من بعده، وكانت (قريش) التي دخلت -الآن- في الإسلام تتخذ منه أداة جديدة لسلطتهم على الجزيرة العربية، كانت مركز هذه المؤامرة.

ومن هنا لم يدع الرسول صلى الله عليه وآله مناسبة إلَّا وأعلن فيها عن أن وصيه الذي اختاره الله للولاية من بعده إنما هو الإمام علي عليه السلام، لتبقى الأقلية المؤمنة وفيةً بعده مع الله والرسول، ومُلْتَفَّةً حول قيادة الإمام عليه السلام وتحافظ على الخط السليم للأمة، وتكون ميزانًا للحق والباطل، ومقياسًا سليمًا لمتغيرات الحوادث.

(١) بحار الأنوار، ج٣٧، ص١٣٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

من هنا نجد النبي صلى الله عليه وآله يسعى حتى آخر لحظة من حياته في هذا السبيل، فقد جاء في رواية البخاري -من كتاب المرض والطب- أنه اجتمع عند رسول الله رجال فيهم: عمر بن الخطاب، فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله: «هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا».

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَدْ غَلَبَهُ الْوَجَعُ وَعِنْدَكُمُ الْقُرْآنُ، حَسْبُكُمْ كِتَابُ رَبِّكُمْ»[1].

فاختلف الحاضرون واختصموا فأمرهم النبي بالإنصراف.

وفي بعض روايات البخاري قال بعضهم: «مَا لَهُ أَهْجَرَ اسْتَفْهِمُوهُ. فذهبوا يرددون عليه فقال: **دَعُوْنِي، فَالَّذِي أَنَا فِيْهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُوْنِي إِلَيْهِ.**

وَأَوْصَاهُمْ بِثَلَاثٍ قَالَ: **أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ**.. وَسَكَتَ عَنْ الثَّالِثَةِ»[2].

وواضح أن المسلمين لم يكونوا لينسوا وصية نبيِّهم الأخيرة، إلَّا أنها كانت متعلقة بالوضع السياسي بعد النبي مما يستدعي تناسيه رغبًا أو رهبًا.

والواقع أن الخليفة الثاني برَّر ذات مرة اتِّهامه للنبي (بأنه قد غلبه الوجع) بأنه لم يكن يرى مصلحة في استخلاف النبي للإمام علي. فقد جاء في شرح ابن أبي الحديد: «روى أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد مسندًا عن ابن عباس قال: دخلت على عمر في أول خلافته وقد ألقى له صاع من تمر على خصفة[3]. فدعاني إلى الاكل، فأكلت

(١) بحار الأنوار، ج٣٠، ص٥٣٥.
(٢) صحيح البخاري، ج٥، ص١٣٧.
(٣) الخصفة، محركة: الجلة تعمل من الخوص للتمر.

تمرة واحدة واقبل يأكل حتى أتى عليه ، ثم شرب من جر[1]، كان عنده واستلقى على مرفقة له وطفق يحمد الله يكرر ذلك.

ثم قال : من أين جئت يا عبد الله ؟.

قلت : من المسجد.

قال : كيف خلفت ابن عمك ؟.

فظننته يعنى عبد الله بن جعفر قلت: خلفته يلعب مع أترابه.

قال: لم اعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت.

قلت: خلفته يمتح بالغرب[2]، على نخيلات من فلان وهو يقرأ القرآن.

قال: يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها! هل بقي في نفسه شئ من أمر الخلافة؟.

قلت: نعم. قال: أيزعم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نص عليه؟.

قلت : نعم. وأزيدك سألت أبى عما يدعيه، فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في امره ذرو[3]، من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذرا ولقد كان يربع في امره وقتا ما.

ولقد أراد في مرضه ان يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقا وحيطة على الاسلام. لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش ابدا ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انى علمت ما في نفسه ، فامسك وأبى الله إلا امضاء ما حتم»[4].

(١) الجر بفتح الجيم وتشديد الراء: آنية من خزف، الواحدة جرة.

(٢) الغرب : الدلو.

(٣) ذرو: طرف.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٢، ص ٢٠ - ٢١.

الفصل الثالث

الإمام علي عليه السلام يواجه المحنة

أوصى النبيُّ صلى الله عليه وآله الإمام عليه السلام بأنه سيعاني من أمته الكثير، وبأنهم لا يمتثلون أوامره فيه وفي سائر أهل بيته، فعليه أن يتسلح بالصبر. ثم الْتَحق النبيُّ صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى، وفاضت نفسه ورأسه الشريف على صدر الإمام عليه السلام.

واشتغل الإمام بمراسم الغسل والتكفين والدفن، كما يقول عليه السلام: «وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي، وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صلى الله عليه وآله وَالمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ مَلأٌ يَهْبِطُ وَمَلأٌ، يَعْرُجُ وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟!»[1].

إلَّا أن هناك مَن كان يفكر في كيفية الانقلاب. ويبدو أن ثلاثة خطوط ارتسمت على الخارطة السياسية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله مباشرة هي:

أولًا: خط الإمام علي عليه السلام ومعه جمهور الأنصار وثلة من المهاجرين.

ثانيًا: جناح سائر المهاجرين، وثلة من الأنصار خصوصًا من قبيلة الخزرج.

ثالثًا: حزب الأمويين بقيادة أبي سفيان.

(١) نهج البلاغة، من كلام له عليه السلام ينبه فيه على فضيلته لقبول قوله وأمره ونهيه.

وبالرغم من أن الخط الثالث، كان منبوذًا، ولا تزال ذكريات بدر وأُحد حيَّةً في نفوس المسلمين، وبالتالي لم يكن لرموز هذا الخط الجرأة بأن تطرح نفسها سلطةً سياسيةً، إلَّا أن انتشار شبكتها في الجزيرة، وتراكم التجربة القيادية لديها، وامتلاكها لكثير من الرجال الأشداء، والأموال الطائلة، كل ذلك كان يجعلها الغائب الشاهد في كل قرار سياسي للأمة، حيث كانت أكبر قوة ضاغطة من وراء الأحداث.

ويبدو للباحث في التاريخ أن أيَّة قوة سياسية كانت تتحالف مع خط أبي سفيان، كان بإمكانها أخذ أزِمَّة الأمور بيديها. وإن أبا سفيان حاول في البدء التحالف مع الإمام علي عليه السلام فرفضه، فتحالف مع بعض عناصر الخط الثاني الذي كان يعتبر معتدلًا تجاهه، إذا قيس بتصلُّب الإمام علي عليه السلام ومدى شدَّته في ذات الله.

فقد جاء في بعض النصوص التاريخية، أن أبا سفيان مشى إلى الإمام عليه السلام بعد وفاة الرسول، فحثَّه على المطالبة بحقه، ووَعَده بأن يملأها خيلًا ورجالًا. فأبى عليه السلام ذلك بقوّة، وألقى خطابًا هامًّا رغَّب الناس في الآخرة وزهَّدهم في الدنيا، جاء في أوله:

«أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ، مَاءٌ آجِنٌ وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ، فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ»[1].

وهكذا غلب الخط الثاني والذي اتَّفقت قياداته على بيعة الخليفة الأول على السلطة، وكانت قيادات الجيش متفقة مع هذا الخط في

(١) نهج البلاغة الخطبة (٥).

الأغلب. وباستطاعتنا أن نفسر سيطرة هذا الخط بأنه سيطرة للخط العسكري. فبالرغم من أن الإمام عليًّا كان أبرز القيادات العسكرية في ذلك اليوم، حيث حمل راية الإسلام في أكثر المعارك، إلّا أن أغلب أنصاره كانوا من المحرومين والمستضعفين كالأنصار.

وهكذا يمكننا أن نفسر تسيير النبي صلى الله عليه وآله لجيش أسامة إلى خارج العاصمة -بل خارج الجزيرة العربية- وقد ضم إليه كبار الأصحاب فيما بينهم أنصار وقيادات الخط الثاني، إلّا أنهم لم ينفّذوا جيش أسامة، وتخلّفوا عنه، سواء عن سابق إصرار ومعرفة بالهدف من بعثهم فيه، أو لإشفاقهم على حالة الرسول كما زعموا.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله: «**جَهِّزُوا جَيْشَ أُسَامَةَ، لَعَنَ اللهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ جَيْشِ أُسَامَةَ**».

وقد جاءت تفاصيل ذلك في نص صريح مأثور عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جاء فيه:

«**ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِتَوْجِيهِ الجَيْشِ الَّذِي وَجَّهَهُ مَعَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عِنْدَ الَّذِي أَحْدَثَ اللهُ بِهِ مِنَ المَرَضِ الَّذِي تَوَفَّاهُ فِيهِ، فَلَمْ يَدَعِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله أَحَدًا مِنْ أَفْنَاءِ الْعَرَبِ وَلَا مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مِمَّنْ يَخَافُ عَلَى نَقْضِهِ وَمُنَازَعَتِهِ، وَلَا أَحَدًا مِمَّنْ يَرَانِي بِعَيْنِ الْبَغْضَاءِ مِمَّنْ قَدْ وَتَرْتُهُ بِقَتْلِ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ حَمِيمِهِ، إِلَّا وَجَّهَهُ فِي ذَلِكَ الجَيْشِ، وَلَا مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ وَالمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَالمُنَافِقِينَ؛ لِتَصْفُوَ قُلُوبُ مَنْ يَبْقَى مَعِي بِحَضْرَتِهِ، وَلِئَلَّا يَقُولَ قَائِلٌ شَيْئًا مِمَّا أَكْرَهُهُ، وَلَا يَدْفَعَنِي دَافِعٌ عَنِ الْوِلَايَةِ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِ رَعِيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ.**

ثُمَّ كَانَ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِهِ أَنْ يَمْضِيَ جَيْشُ أُسَامَةَ وَلَا يَتَخَلَّفَ عَنْهُ أَحَدٌ مِمَّنْ أَنْهَضَ مَعَهُ، وَتَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ أَشَدَّ التَّقَدُّمِ، وَأَوْعَزَ فِيهِ

أَبْلَغَ الْإِيعَازِ، وَأَكَّدَ فِيهِ أَكْثَرَ التَّأْكِيدِ، فَلَمْ أَشْعُرْ بَعْدَ أَنْ قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا بِرِجَالٍ مِنْ بَعْثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَأَهْلِ عَسْكَرِهِ قَدْ تَرَكُوا مَرَاكِزَهُمْ، وَأَخْلَوْا بِمَوَاضِعِهِمْ، وَخَالَفُوا أَمْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا أَنْهَضَهُمْ لَهُ وَأَمَرَهُمْ بِهِ، وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ مِنْ مُلَازَمَةِ أَمِيرِهِمْ وَالسَّيْرِ مَعَهُ تَحْتَ لِوَائِهِ حَتَّى يُنْفَذَ لِوَجْهِهِ الَّذِي أَنْفَذَهُ إِلَيْهِ، فَخَلَّفُوا أَمِيرَهُمْ مُقِيمًا فِي عَسْكَرِهِ وَأَقْبَلُوا يَتَبَادَرُونَ عَلَى الْخَيْلِ رَكْضًا إِلَى حَلِّ عُقْدَةٍ عَقَدَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ لِي فِي أَعْنَاقِهِمْ فَحَلُّوهَا، وَعَهْدٍ عَاهَدُوا اللهَ وَرَسُولَهُ فَنَكَثُوهُ، وَعَقَدُوا لِأَنْفُسِهِمْ عَقْدًا ضَجَّتْ بِهِ أَصْوَاتُهُمْ وَاخْتَصَّتْ بِهِ آرَاؤُهُمْ، مِنْ غَيْرِ مُنَاظَرَةٍ لِأَحَدٍ مِنَّا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَوْ مُشَارَكَةٍ فِي رَأْيٍ، أَوِ اسْتِقَالَةٍ لِمَا فِي أَعْنَاقِهِمْ مِنْ بَيْعَتِي، فَعَلُوا ذَلِكَ وَأَنَا بِرَسُولِ اللهِ مَشْغُولٌ، وَبِتَجْهِيزِهِ عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ مَصْدُودٌ؛ فَإِنَّهُ كَانَ أَهَمَّهَا وَأَحَقَّ مَا بُدِئَ بِهِ مِنْهَا، فَكَانَ هَذَا يَا أَخَا الْيَهُودِ أَقْرَحَ مَا وَرَدَ عَلَى قَلْبِي مَعَ الَّذِي أَنَا فِيهِ مِنْ عَظِيمِ الرَّزِيَّةِ وَفَاجِعِ الْمُصِيبَةِ وَفَقْدِ مَنْ لَا خَلَفَ مِنْهُ إِلَّا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَصَبَرْتُ عَلَيْهَا إِذْ أَتَتْ بَعْدَ أُخْتِهَا عَلَى تَقَارُبِهَا وَسُرْعَةِ اتِّصَالِهَا.

ثُمَّ الْتَفَتَ عليه السلام إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟.

قَالُوا: بَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام»[1].

كيف طالب الإمام عليه السلام بحقه:

ولم يشأ الإمام علي عليه السلام أن يحمل السيف، ويأخذ حقه بقوة السلاح لأمرين -كما يبدو للباحث في تاريخه- وهما:

أولًا: لأنه لم يجد تجاوبًا كافيًا لدى المؤيدين له، مما كان يجعل مطالبته نوعًا من المغامرة.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٢٠٧.

ثانيًا: خشيته على الإسلام أن يرتد عنه أولئك الذين لَمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم.

ولقد أشار عليه السلام إلى هذين الأمرين في أكثر من مناسبة، نذكر منها قوله -في حديث مفصل يأتي إن شاء الله-: «**فَقُلْتُ يَا رَسُوْلَ اللهِ فَمَا تَعْهَدُ إِلَيَّ إِذَا كَانَ (ذَلِكَ)؟**».

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: **إِنْ وَجَدْتَ أَعْوَانًا فَبَادِرْ إِلَيْهِمْ وَجَاهِدْهُمْ، وَإِنْ لَمْ تَجِدْ أَعْوَانًا كُفَّ يَدَكَ وَاحْقُنْ دَمَكَ حَتَّى تَلْحَقَ بِي مَظْلُومًا**»[1].

وقال -وهو يوضح موقفه من السلطة عمومًا بعد بيعة عثمان-: «**لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاسًا لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ**»[2].

ولقد طالب الإمام عليه السلام بحقه ومشى إلى المهاجرين والأنصار، وحرّضهم على الدفاع عنه، وأنهض كبار شيعته وأهل بيته لإعلان حقه، مما جعل الناس يعرفون خطأ مبادرتهم للبيعة!. بل جعل الخليفة الثاني يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً وَقَى اللهُ شَرَّهَا فَمَنْ دَعَاكُمْ إِلَى مِثْلِهَا فَاقْتُلُوهُ»[3].

إن البعض يحاول أن يوهمنا أن انتقال السلطة إلى الخليفة الأول تَمَّ بهدوء، من أجل أن يُضفي على عهده صبغة القداسة والعصمة عن الخطأ. ولعل منشأ هذا الرأي الحميَّة للإسلام، بما يخالف واقعيات التاريخ.

---

(١) بحار الانوار: ج ٢٨، ص ١٩١.
(٢) بحار الأنوار، ج٢٩، ص٦١٢.
(٣) بحار الأنوار، ج٣٠، ص٤٤٦.

والواقع أن خلط الدين بالتراث، ومحاولة تقديس الماضي بإيجابياته وسلبياته هو المسؤول عن مثل هذه النظرة الساذجة.

إن عشرات النصوص الدينية والتاريخية، التي لا يرقى إليها أدنى شك، تؤكد أن مَنْ كان حول الرسول لم يكونوا إلّا بشرًا، فيهم الصالحون، وفيهم الكثير من المنافقين والفاسقين، وكان فيهم من قال عنه الإمام عليه السلام: «**لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ مِنْكُمْ، لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا، وَقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ، وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ**»[1].

كما كان فيهم من عشق السلطة، وسعى إليها على تلال من جثث القتلى دون أي وازع من دين أو ضمير، وكان فيهم مَنْ أكثر من الكذب حتى حذّر الرسول صلى الله عليه وآله من ذلك قائلًا: «**قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ [الْكِذَابَةُ] وَسَتَكْثُرُ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[2].

وكان فيهم من قال عنه الله سبحانه: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[3].

وقال عز من قائل أيضًا: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[4].

(١) نهج البلاغة، من خطبة له عليه السلام في أصحابه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.
(٢) بحار الأنوار، ج٢، ص٢٢٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠١.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

وقد نقل المحدِّثون جميعًا عن الرسول صلى الله عليه وآله كثيرًا من النصوص التي تؤكد أن بعض أصحابه ينحرفون من بعده. إذن كيف يمكن تصور القداسة فيهم، وأنهم سلَّموا السُّلطة إلى أهلها من دون صراع، علمًا بأن الروايات التاريخية الصحيحة شهدتْ بوجود هذا الصراع على أشده، منذ يوم السقيفة؛ ثم ولم يلبث أن اصطبغ الصراع بلون الدم في حادثة مالك بن نويرة، الذي أبى إعطاء الزكاة للخليفة الأول، فبعث إليه قائدًا عربيًّا عريقًا في الجاهلية ممن انضمَّ إلى الرسالة بعد الفتح، وأضحى سيفًا مسلولًا بيد الدولة، وهو خالد بن الوليد، الذي فتك بمالك وانتهك عرضه وافتعل بزوجته ليلة قتلِه وجعله عبرة لكل القبائل التي ربما فكرت بالتمرد على السلطة الجديدة. ثم باركت عملَه هذه السلطة الجديدة!!.

واستمرت سلسلة الصراعات حتى انتهت بالحروب الداخلية التي جرت في عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فلولا وجود خلفيات لهذه الصراعات لم تكن لتظهر بتلك الصورة الدموية.

بيد أن الباحث يقتنع من خلال عشرات الشواهد التاريخية أن الإمام

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

عليًا عليه السلام لم يكن يرغب في تحويل الصراع إلى تنافس سياسي على السلطة، ولا يرضى بتصعيده إلى حرب دامية، ولا حتى باعتزال الساحة السياسية، بل كان يشارك الخلفاء في كافة الشؤون، ويلي أمورهم ويحل معضلاتهم.

ومن جهة ثانية، كان الخلفاء يذعنون لفضل الإمام عليه السلام، ويعملون بنصائحه وقضائه ويشيدون به في أكثر من مناسبة؛ فلقد شاع قول الخليفة الأول: «أَقِيلُونِي فَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ وَعَلِيٌّ فِيكُمْ»[1].

وتواتر الحديث عن الخليفة الثاني: «لَوْ لَا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ»[2].

حيث قالها في أكثر من مائة مناسبة.

وقال أيضًا: «لَا أَبْقَانِيَ اللهُ لِمُعْضِلَةٍ لَمْ يَكُنْ لَهَا أَبُو الْحَسَنِ»[3].

وإنما قالها عمر لمزيد من المشاكل التي حلها الإمام عليه السلام وأراح منها المسلمين.

وقد ثبت تاريخيًا أن أصحاب الإمام عليه السلام قد تولّوا كثيرًا من المناصب الإدارية والعسكرية للدولة، فسلمان تولّى ولاية فارس في المدائن، وهو من أقرب أنصار الإمام عليه السلام وأشهدهم إخلاصًا له. والإمام الحسن المجتبى عليه السلام شارك في جيش الإسلام الذي فتح الله على يديه بلاد الفرس، كما أن الإمام نفسه استخلفه الخليفة الثاني عند ذهابه إلى فلسطين.

ونستوحي من حديث مأثور عن الإمام الصادق عليه السلام أن الحكم في عهد الخليفة الأول والثاني كان يشبه حكمًا ائتلافيًا بين الأجنحة المختلفة، في

(١) بحار الأنوار، ج٣٠، ص٥٠٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٠، ص٦٨٠.
(٣) بحار الأنوار، ج٧٦، ص٥٢.

حين استبد جناح بني أمية بالحكم في عهد الخليفة الثالث، وخلص الحكم -بعد الانتفاضة وقتل الخليفة- للجناح الأول الذي كان يقوده الإمام علي، وأولي البصائر من المهاجرين والأنصار؛ ولذلك ثارت ثائرة أصحاب عُثمان وتمرّد الأمويون ومَنْ اتّبعهم على حكم الإمام علي عليه السلام.

سيدة النساء النصيرة الأولى للإمام عليه السلام:

هكذا أُفرزت الأجنحة السياسية بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وحُدّدت ملامح المعارضة الرسالية التي طالبت بعودة الإمام عليٍّ إلى الحكم؛ لأنه الأفضل، ولأن الرسول صلى الله عليه وآله، الذي لا ينطق عن الهوى، قد أمر بذلك وشدّد أمره بأخذ العهود والمواثيق.

وكانت بنت رسول الله - فاطمة الزهراء عليها السلام - أشد المدافعين عن الإمام عليه السلام وأقواهم، وبالرغم من أنها لم تعش بعد والدها طويلًا، لانها صُفِّيت، وكانت أول من يلتحق بأبيها، إلا أن معارضتها الشجاعة فتحت أبواب المعارضة أمام أنصار الإمام عليه السلام وأعطتهم المنهج وشحنت إرادتهم بالعزم، خصوصًا بعد استشهادها ووصيتها بأن يُخْفَى محلُّ دفنها، ولا يحضر جنازتها مَنْ ظَلَمها..

ولقد أصبحت شهادة فاطمة عليها السلام راية ظلامة حارب تحت ظلها كل المحرومين عبر التاريخ.

وإن غيابها المبكّر وبتلك الصورة الفجيعة، جدَّد أحزان المسلمين بفقد الحبيب محمد صلى الله عليه وآله، وأثار في القلوب المجروحة بمصيبة الرسول صلى الله عليه وآله زوبعة من العواطف الصادقة التي تحولت مع الزمن إلى قوة تحدٍّ لا تقهر.

لقد حفرت كلماتها المضيئة في أفئدة الناس أنهرًا من الحماس

والتحدي الرسالي. فقد قالت لنساء الأنصار حين زرنها في مرض موتها وقلن لها: كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟ قالت لهنَّ فيما قالت لقد:

«أَنَّى زَحْزَحُوهَا عَنْ رَوَاسِي الرِّسَالَةِ، وَقَوَاعِدِ النُّبُوَّةِ، وَمَهْبَطِ الْوَحْيِ الْأَمِينِ، وَالطِّبِينِ بِأَمْرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[1]».

ومضت قائلة: «وَمَا نَقَمُوا مِنْ أَبِي الْحَسَنِ! نَقَمُوا وَاللهِ مِنْهُ نَكِيرَ سَيْفِهِ، وَشِدَّةَ وَطْئِهِ، وَنَكَالَ وَقْعَتِهِ، وَتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»

ثم قالت: «اسْتَبْدَلُوا الذَّنَابَى وَاللهِ بِالْقَوَادِمِ وَالْعَجُزَ بِالْكَاهِلِ، فَرَغْمًا لِمَعَاطِسِ قَوْمٍ: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2]، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾[3]، ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[4]»[5].

أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يدافعون عن الإمام عليه السلام:

ولكن.. كيف دافع أصحاب النبي عن حق الإمام في الخلافة؟.

الكتب التاريخية حفظت لنا عشرات الحوادث في ذلك. بيد أن القصة التالية تبدو جامعة حيث احتجَّ كبار الأصحاب على تغيير السلطة بأدلة قوية. كما أنها تروي أيضًا جانبًا هامًّا من تاريخ الإمام علي عليه السلام.

والإمام الصادق يروي تفاصيل هذه الحادثة التاريخية في حديث

(١) سورة الزمر، آية: ١٥.
(٢) سورة الكهف، آية: ١٠٤.
(٣) سورة البقرة، آية: ١٢.
(٤) سورة يونس، آية: ٣٥.
(٥) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٥٨.

مفصل نُثبته هنا ليعكس لنا حالة الأمة آنذاك.

عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عليه السلام جُعِلْتُ فِدَاكَ هَلْ كَانَ أَحَدٌ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَنْكَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ فِعْلَهُ وَجُلُوسَهُ مَجْلِسَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم؟.

فَقَالَ عليه السلام: نَعَمْ كَانَ الَّذِي أَنْكَرَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَكَانَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ وَأَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ، وَبُرَيْدَةُ الْأَسْلَمِيُّ.

وَمِنَ الْأَنْصَارِ: أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ وَسَهْلٌ وَعُثْمَانُ ابْنَا حُنَيْفٍ وَخُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ..

إلى أن قال عليه السلام: «فَانْطَلَقَ الْقَوْمُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَجْمَعِهِمْ فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَرَكْتَ حَقًّا أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى مِنْهُ لِأَنَّا سَمِعْنَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: **عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَمِيلُ مَعَ الْحَقِّ كَيْفَ مَالَ**».

وَلَقَدْ هَمَمْنَا أَنْ نَصِيرَ إِلَيْهِ فَنُنْزِلَهُ عَنْ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَجِئْنَاكَ نَسْتَشِيرُكَ وَنَسْتَطْلِعُ رَأْيَكَ فِيمَا [فَمَا] تَأْمُرُنَا.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «**وَ ايْمُ اللهِ! لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَمَا كُنْتُمْ لَهُمْ إِلَّا حَرْبًا، وَلَكِنَّكُمْ كَالْمِلْحِ فِي الزَّادِ وَكَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ.**

وَايْمُ اللهِ! لَوْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ لَأَتَيْتُمُونِي شَاهِرِينَ أَسْيَافَكُمْ مُسْتَعِدِّينَ لِلْحَرْبِ وَالْقِتَالِ إِذًا لأتوني [أَتَوْنِي] فَقَالُوا لِي: بَايِعْ وَإِلَّا قَتَلْنَاكَ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَدْفَعَ الْقَوْمَ عَنْ نَفْسِي، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَوْعَزَ إِلَيَّ قَبْلَ وَفَاتِهِ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم لِي: يَا أَبَا الْحَسَنِ! إِنَّ الْأُمَّةَ سَتَغْدِرُ بِكَ بَعْدِي وَتَنْقُضُ فِيكَ عَهْدِي، وَإِنَّكَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، وَإِنَّ الْأُمَّةَ مِنْ بَعْدِي

بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ وَمَنِ اتَّبَعَهُ وَالسَّامِرِيِّ وَمَنِ اتَّبَعَه.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَعْهَدُ إِلَيَّ إِذَا كَانَ ذَلِكَ؟.

فَقَالَ ﷺ: إِنْ وَجَدْتَ أَعْوَانًا فَبَادِرْ إِلَيْهِمْ وَجَاهِدْهُمْ، وَإِنْ لَمْ تَجِدْ أَعْوَانًا كُفَّ يَدَكَ وَاحْقُنْ دَمَكَ حَتَّى تَلْحَقَ بِي مَظْلُومًا.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اشْتَغَلْتُ بِغُسْلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَالْفَرَاغِ مِنْ شَأْنِهِ، ثُمَّ آلَيْتُ يَمِينًا أَلَّا أَرْتَدِيَ إِلَّا لِلصَّلَاةِ حَتَّى أَجْمَعَ الْقُرْآنَ، فَفَعَلْتُ.

ثُمَّ أَخَذْتُ بِيَدِ فَاطِمَةَ وَابْنَيَّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَدُرْتُ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ وَأَهْلِ السَّابِقَةِ فَنَاشَدْتُهُمْ حَقِّي وَدَعَوْتُهُمْ إِلَى نُصْرَتِي، فَمَا أَجَابَنِي مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةٌ رَهْطٍ مِنْهُمْ: سَلْمَانُ وَعَمَّارٌ وَالْمِقْدَادُ وَأَبُو ذَرٍّ[1].

وَلَقَدْ رَاوَدْتُ فِي ذَلِكَ تَقْيِيدَ بَيِّنَتِي، فَاتَّقُوا اللهَ عَلَى السُّكُوتِ لِمَا عَلِمْتُمْ مِنْ وَغْرِ صُدُورِ الْقَوْمِ، وَبُغْضِهِمْ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ ﷺ. فَانْطَلِقُوا بِأَجْمَعِكُمْ إِلَى الرَّجُلِ فَعَرِّفُوهُ مَا سَمِعْتُمْ مِنْ قَوْلِ رَسُولِكُمْ ﷺ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَوْكَدَ لِلْحُجَّةِ، وَأَبْلَغَ لِلْعُذْرِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا وَرَدُوا عَلَيْهِ.

فَسَارَ الْقَوْمُ حَتَّى أَحْدَقُوا بِمِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا صَعِدَ أَبُو بَكْرٍ الْمِنْبَرَ قَالَ الْمُهَاجِرُونَ لِلْأَنْصَارِ: تَقَدَّمُوا فتكَلَّمُوا. وَقَالَ الْأَنْصَارُ لِلْمُهَاجِرِينَ: بَلْ تَكَلَّمُوا أَنْتُمْ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدْنَاكُمْ فِي كِتَابِهِ إِذْ

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ١٣١: «ومن كتاب معاوية المشهور إلى علي عليه السلام: وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلًا على حمار ويدك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر الصديق، فلم تدع أحدًا من أهل بدر والسوابق إلّا دعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بأمر أنك، وأدليت إليهم بابنيك، واستنصرتهم على صاحب رسول الله، فلم يجبك منهم إلّا أربعة أو خمسة».

قَالَ اللهُ: «لَقَدْ تَابَ اللهُ بِالنَّبِيِّ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ».

قَالَ أَبَانٌ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ! إِنَّ الْعَامَّةَ لَا تَقْرَأُ كَمَا عِنْدَكَ؟!.

فَقَالَ: وَكَيْفَ تَقْرَأُ يَا أَبَانُ؟.

قَالَ: قُلْتُ: إِنَّهَا تَقْرَأُ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[1].

فقال الإمام عليه السلام: **وَيْلَهُمْ! وَأَيُّ ذَنْبٍ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله حَتَّى تَابَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْهُ، إِنَّمَا تَابَ اللهُ بِهِ عَلَى أُمَّتِهِ.**

١- فَأَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، ثُمَّ بَاقِي الْمُهَاجِرِينَ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِمُ الْأَنْصَارُ.

وَرُوِيَ أَنَّهُمْ كَانُوا غُيَّبًا عَنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقَدِمُوا وَقَدْ تَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَعْلَامُ مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله. فَقَامَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ[2] وَقَالَ:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٧.

(٢) قال ابن الأثير في أسد الغابة: «خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، يكنى أبا سعيد، كان من السابقين إلى الإسلام ثالثًا أو رابعًا، بعثه رسول الله عاملاً على صدقات اليمن، وقيل على صدقات مذحج وعلى صنعاء، فتوفي النبيُّ صلى الله عليه وآله وهو عليها، ولم يزل خالد وأخواه عمرو وأبان على أعمالهم التي استعملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وآله حتى توفي رسول الله، فرجعوا عن أعمالهم، فقال لهم أبو بكر: ما لكم رجعتم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله. ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله أبدًا. وكان خالد على اليمن، وأبان على البحرين، وعمرو على تيماء. وتأخر خالد وأخوه أبانٌ عن بيعة أبي بكر، فقال لبني هاشم: إنكم لطوال الشجر طيِّبوا الثمر، ونحن لكم تبع، فلمّا بايع بنو هاشم أبا بكر بايعه خالد وأبان». وسيجيء تمام الكلام فيه.

اتَّقِ اللهَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ وَنَحْنُ مُحْتَوِشُوهُ يَوْمَ قُرَيْظَةَ حِينَ فَتَحَ اللهُ لَهُ، وَقَدْ قَتَلَ عَلِيٌّ يَوْمَئِذٍ عِدَّةً مِنْ صَنَادِيدِ رِجَالِهِمْ وَأُولِي الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ مِنْهُمْ:

يَا مَعَاشِرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِنِّي مُوصِيكُمْ بِوَصِيَّةٍ فَاحْفَظُوهَا، وَمُودِعُكُمْ أَمْرًا فَاحْفَظُوهُ؛ أَلَا إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَمِيرُكُمْ بَعْدِي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ، بِذَلِكَ أَوْصَانِي رَبِّي أَلَا وَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَحْفَظُوا فِيهِ وَصِيَّتِي وَتُؤَازِرُوهُ وَتَنْصُرُوهُ اخْتَلَفْتُمْ فِي أَحْكَامِكُمْ، وَاضْطَرَبَ عَلَيْكُمْ أَمْرُ دِينِكُمْ، وَوَلِيَكُمْ شِرَارُكُمْ. أَلَا إِنَّ أَهْلَ بَيْتِي هُمُ الْوَارِثُونَ لِأَمْرِي، وَالْعَالِمُونَ بِأَمْرِ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي. اللَّهُمَّ مَنْ أَطَاعَهُمْ مِنْ أُمَّتِي وَحَفِظَ فِيهِمْ وَصِيَّتِي فَاحْشُرْهُمْ فِي زُمْرَتِي وَاجْعَلْ لَهُمْ نَصِيبًا مِنْ مُرَافَقَتِي يُدْرِكُونَ بِهِ نُورَ الْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ وَمَنْ أَسَاءَ خِلَافَتِي فِي أَهْلِ بَيْتِي فَاحْرِمْهُ الْجَنَّةَ الَّتِي عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: اسْكُتْ يَا خَالِدُ، فَلَسْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَةِ وَلَا مِمَّنْ يُقْتَدَى بِرَأْيِهِ. فَقَالَ خَالِدٌ: اسْكُتْ يَا بْنَ الْخَطَّابِ، فَإِنَّكَ تَنْطِقُ عَنْ لِسَانِ غَيْرِكَ، وَأَيْمُ اللهِ! لَقَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنَّكَ مِنْ أَلْأَمِهَا حَسَبًا، وَأَدْنَاهَا مَنْصَبًا، وَأَخَسِّهَا قَدْرًا، وَأَخْمَلِهَا ذِكْرًا، وَأَقَلِّهِمْ غَنَاءً عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنَّكَ لَجَبَانٌ فِي الْحُرُوبِ، بَخِيلٌ بِالْمَالِ، لَئِيمُ الْعُنْصُرِ، مَا لَكَ فِي قُرَيْشٍ مِنْ فَخْرٍ وَلَا فِي الْحُرُوبِ مِنْ ذِكْرٍ، وَإِنَّكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ بِمَنْزِلَةِ الشَّيْطَانِ؛ ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]. فَأَبْلَسَ عُمَرُ، وَجَلَسَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ».

(١) سورة الحشر، آية: ١٦-١٧.

٢- ثُمَّ قَامَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ(١) وَقَالَ: (كرديد ونكرديد وندانيد چه

(١) روى ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ١٧، عن أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري بإسناده عن المغيرة: أن سلمان والزبير وبعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليًا بعد النبي، فلما بويع أبو بكر قال سلمان للصحابة: أصبتم الخير ولكن أخطأتم المعدن. قال: وفي رواية أخرى: أصبتم ذا السن منكم ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم. أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رَغدًا.

قال ابن أبي الحديد: قلت هذا الخبر هو الذي رواه المتكلمون في باب الإمامة عن سلمان أنه قال: (كرديد ونكرديد) تفسره الشيعة فتقول: أراد أسلمتم، ويفسره أصحابنا فيقولون: معناه أخطأتم واصبتم.

وقال السيد المرتضى في الشافي (٤٠١): فإن قيل: المروي عن سلمان أنه قال: (كرديد ونكرديد)، وليس بمقطوع به؟ قلنا: إن كان خبر السقيفة وشرح ما جرى فيها من الأقوال مقطوعًا به، فقول سلمان مقطوع به، لأن كل من روى السقيفة رواه، وليس هذا مما يختص الشيعة بنقله فيُتَّهَمَ فيه.

وليس لهم أن يقولوا: كيف خاطبهم بالفارسية وهم عرب، وذلك أن سلمان وإن تكلم بالفارسية فقد فسره بقوله: «أصبتم وأخطأتم»، أصبتم سنّة الأولين وأخطأتم أهل بيت نبيكم... إلى آخر ما سيجيء في آخر هذا الباب (تتميم) نقلًا عن تلخيص الشافي.

أقول: ولفظ سلمان على ما في أنساب الأشراف (١/ ٥٩١) العثمانية: (ص ١٧٢ و١٧٩ و١٨٧ و٢٣٧) (كرداد ونا كرداد)، فالظاهر من قوله: (كرداد ونا كرداد) أن صنيعهم هذا صنيع وليس بصنيع. قال في البرهان: كرداد - وزان بغداد بالفتح البناء والأساس. وقال: كردار بكسر الأول القاعدة والسيرة: (آئين - روش). فنفي الفعل ثانيًا بعد إثباته أولًا يفيد أن ما صنعوه لم يكن على وفق الحق ومقتضاه؛ حيث إن الناس وإن كان لابد لهم من أمير يطاوعون له، يصدرون عن نهيه ويردون بأمره، ولكن الذي يجب أن يُطاوَع ويُبايَع ليس هو أبو بكر الذي لا يمكنه أن يتخطّى خطى النبي صلى الله عليه وآله ويحذو حذوه، ولا له عصمة كعصمة النبي، فلا يؤثر في أشعارهم وأبشارهم ولا... وألف ولا.

وأما الاعتراض بأنه كيف خاطبهم بالفارسية أولًا ثم خاطبهم بالعربية - قد أكثر في ذلك الجاحظ في العثمانية (ص ١٨٦)، فعندي أن ذلك معهود من طبيعة الإنسان؛ إذا إن في نفسه نفثة لا يمكنه أن يصدرها كما هي، أخرجها مُهَمْهِمًا كخواطر النفوس. وإذا كان عارفًا بلسانين كسلمان الفارسي أصدر النفثة بلسان غير لسان المخاطبين، ثم مضى في كلامه بلسانهم، فروى تلك الكلمة من سمعها من سلمان، وترجمها من كان يعرف اللغة الفارسية بعد ذلك.

كرديد) أَيْ فَعَلْتُمْ وَلَمْ تَفْعَلُوا وَمَا عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ. وَامْتَنَعَ مِنَ الْبَيْعَةِ قَبْلَ ذَلِكَ حَتَّى وُجِئَ عُنُقُهُ.

فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ! إِلَى مَنْ تُسْنِدُ أَمْرَكَ إِذَا نَزَلَ بِكَ مَا لَا تَعْرِفُهُ؟ وَإِلَى مَنْ تَفْزَعُ إِذَا سُئِلْتَ عَمَّا لَا تَعْلَمُهُ؟ وَمَا عُذْرُكَ فِي تَقَدُّمِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ وَأَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَعْلَمُ بِتَأْوِيلِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَمَنْ قَدَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَيَاتِهِ، وَأَوْصَاكُمْ بِهِ عِنْدَ وَفَاتِهِ، فَنَبَذْتُمْ قَوْلَهُ، وَتَنَاسَيْتُمْ وَصِيَّتَهُ، وَأَخْلَفْتُمُ الْوَعْدَ، وَنَقَضْتُمُ الْعَهْدَ، وَحَلَلْتُمُ الْعَقْدَ الَّذِي كَانَ عَقَدَهُ عَلَيْكُمْ مِنَ النُّفُوذِ تَحْتَ رَايَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، حَذَرًا مِنْ مِثْلِ مَا أَتَيْتُمُوهُ، وَتَنْبِيهًا لِلْأُمَّةِ عَلَى عَظِيمِ مَا اجْتَرَحْتُمُوهُ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ؟!. فَعَنْ قَلِيلٍ يَصْفُو لَكَ الْأَمْرُ وَقَدْ أَثْقَلَكَ الْوِزْرُ وَنُقِلْتَ إِلَى قَبْرِكَ وَحَمَلْتَ مَعَكَ مَا اكْتَسَبَتْ يَدَاكَ، فَلَوْ رَاجَعْتَ الْحَقَّ مِنْ قُرْبٍ وَتَلَافَيْتَ نَفْسَكَ، وَتُبْتَ إِلَى اللهِ مِنْ عَظِيمِ مَا اجْتَرَمْتَ كَانَ ذَلِكَ أَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِكَ يَوْمَ تَفَرَّدُ فِي حُفْرَتِكَ، وَيُسَلِّمُكَ ذَوُو نُصْرَتِكَ، فَقَدْ سَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَرَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، فَلَمْ يَرْدَعْكَ ذَلِكَ عَمَّا أَنْتَ مُتَشَبِّثٌ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي لَا عُذْرَ لَكَ فِي تَقَلُّدِهِ، وَلَا حَظَّ لِلدِّينِ وَالْمُسْلِمِينَ فِي قِيَامِكَ بِهِ. فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ؛ فَقَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ، وَلَا تَكُنْ كَمَنْ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ.

٣- ثُمَّ قَامَ **أَبُو ذَرٍّ** فَقَالَ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ! أَصَبْتُمْ قَبَاحَةً وَتَرَكْتُمْ قَرَابَةً، وَاللهِ لَتَرْتَدَّنَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَرَبِ وَلَتَشُكَّنَّ فِي هَذَا الدِّينِ.

وَلَوْ جَعَلْتُمُ الْأَمْرَ فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْكُمْ سَيْفَانِ، وَاللهِ لَقَدْ صَارَتْ لِمَنْ غَلَبَ، وَلَتَطْمَحَنَّ إِلَيْهَا عَيْنُ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، وَلَيُسْفَكَنَّ فِي طَلَبِهَا دِمَاءٌ كَثِيرَةٌ. فَكَانَ كَمَا قَالَ أَبُو ذَرٍّ

ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ عَلِمْتُمْ وَعَلِمَ خِيَارُكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«الْأَمْرُ بَعْدِي لِعَلِيٍّ ثُمَّ لِابْنَيَّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ثُمَّ لِلطَّاهِرِينَ مِنْ ذُرِّيَّتِي»**؛

فَاطَّرَحْتُمْ قَوْلَ نَبِيِّكُمْ وَتَنَاسَيْتُمْ مَا عَهِدَ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَأَطْعَتُمُ الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ، وَبِعْتُمُ الْآخِرَةَ الْبَاقِيَةَ، الَّتِي لَا يَهْرَمُ شَبَابُهَا، وَلَا يَزُولُ نَعِيمُهَا، وَلَا يَحْزَنُ أَهْلُهَا، وَلَا تَمُوتُ سُكَّانُهَا؛ بِالْحَقِيرِ التَّافِهِ الْفَانِي الزَّائِلِ، وَكَذَلِكَ الْأُمَمُ مِنْ قَبْلِكُمْ كَفَرَتْ بَعْدَ أَنْبِيَائِهَا وَنَكَصَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا وَغَيَّرَتْ وَبَدَّلَتْ وَاخْتَلَفَتْ، فَسَاوَيْتُمُوهُمْ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَالْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَذُوقُونَ وَبَالَ أَمْرِكُمْ وَتُجْزَوْنَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ، وَمَا اللهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

٤ - ثُمَّ قَامَ **الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ** وَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا بَكْرٍ عَنْ ظُلْمِكَ، وَتُبْ إِلَى رَبِّكَ، وَالْزَمْ بَيْتَكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ، وَسَلِّمِ الْأَمْرَ لِصَاحِبِهِ الَّذِي هُوَ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ مَا عَقَدَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي عُنُقِكَ مِنْ بَيْعَتِهِ، وَأَلْزَمَكَ مِنَ النُّفُوذِ تَحْتَ رَايَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَهُوَ مَوْلَاهُ، وَنَبَّهَ عَلَى بُطْلَانِ وُجُوبِ هَذَا الْأَمْرِ لَكَ وَلِمَنْ عَضَدَكَ عَلَيْهِ، بِضَمِّهِ لَكُمَا إِلَى عَلَمِ النِّفَاقِ وَمَعْدِنِ الشَّنَآنِ وَالشِّقَاقِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾[1]؛ فَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَمْرٍو، وَهُوَ كَانَ أَمِيرًا عَلَيْكُمَا وَعَلَى سَائِرِ الْمُنَافِقِينَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَنْفَذَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي غَزَاةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ[2] وَأَنَّ عَمْرًا قَلَّدَكُمَا حَرْسَ عَسْكَرِهِ فَمِنَ الْحَرْسِ إِلَى الْخِلَافَةِ، اتَّقِ اللهَ وَبَادِرِ الِاسْتِقَالَةَ قَبْلَ فَوْتِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ أَسْلَمُ لَكَ فِي حَيَاتِكَ وَبَعْدَ وَفَاتِكَ، وَلَا تَرْكَنْ إِلَى

(١) سورة الكوثر، الآية: ٣.

(٢) البلاذري (١ / ٣٨٠). وفي السِّيَر أن رسول الله بعث عمرو بن العاص أولاً ثم بعث أبا عبيدة مَدَدًا له وفيهم أبو بكر وعمر فاجتمعوا تحت قيادة عمرو، راجع سيرة ابن هشام (ج ٢، ص ٦٣٢)، أسد الغابة (ج ٤، ص ١١٦) ترجمة عمرو بن العاص منتخب كنز العمال (ج ٤ ص ١٧٨)، تاريخ الطبري (ج ٣ ص ٣٢)، ولعمرو بن العاص ترجمة إضافية من شتى نواحي البحث تراها في كتاب الغدير: (ج ٢، ص ١٢٠ - ١٧٦).

دُنْيَاكَ وَلَا تَغُرُّكَ قُرَيْشٌ وَغَيْرُهَا، فَعَنْ قَلِيلٍ تَضْمَحِلُّ عَنْكَ دُنْيَاكَ ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى رَبِّكَ فَيَجْزِيكَ بِعَمَلِكَ، وَقَدْ عَلِمْتَ وَتَيَقَّنْتَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَسَلِّمْهُ إِلَيْهِ بِمَا جَعَلَهُ اللهُ لَهُ فَإِنَّهُ أَتَمُّ لِسَتْرِكَ وَأَخَفُّ لِوِزْرِكَ، فَقَدْ وَاللهِ نَصَحْتُ لَكَ إِنْ قَبِلْتَ نُصْحِي، وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ.

٥- ثُمَّ قَامَ **بُرَيْدَةُ الْأَسْلَمِيُّ**(١) فَقَالَ: إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، مَاذَا

---

(١) بريدة بن الخصيب الأسلمي أبو ساسان أو أبو عبد الله، كان ذا بيت كبير في قومه مر به رسول الله مهاجرًا فأسلم هو ومن معه وكانوا ثمانين بيتًا، فصلّوا خلف رسول الله صلى الله عليه وآله العشاء الآخرة، ثم قدم عليه صلى الله عليه وآله بعد غزوة أحد وشهد معه المشاهد كلها، وولّاه رسول الله صدقات قومه. روي أنه لما سمع بموت النبي صلى الله عليه وآله وكان في قبيلته، أخذ رايته فنصبها على باب بيت أمير المؤمنين. فقال له عمر: الناس اتفقوا على بيعة أبي بكر، مالك تخالفهم؟ فقال: لا أبايع غير صاحب هذا البيت.

وأما حديث التسليم على علي بإمرة المؤمنين فقد أخرجه العلّامة المرعشي قدس سره في ذيل الإحقاق عن معاجم كثيرة من كتب أهل السنّة راجع: (ج ٤، ص ٢٧٥) وما بعده.

وأما حديث خلافه فقد روى علم الهدى في الشافي (٣٩٨) عن الثقفي بإسناده عن سفيان بن فروة عن أبيه قال: جاء بريدة حتى ركز رايته في وسط أسلم، ثم قال: لا أبايع حتى يبايع علي بن أبي طالب. فقال علي: يا بريدة ادخل فيما دخل فيه الناس، فإن اجتماعهم أحبُّ إليَّ من اختلافهم اليوم. وبإسناده عن موسى بن عبد الله بن الحسن قال: أبت أسلم أن تبايع، فقالوا: ما كنا نبايع حتى يبايع بريدة لقول النبي صلى الله عليه وآله لبريدة «**عَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ مِنْ بَعْدِي**»، قال: فقال علي: إن هؤلاء خيروني أن يظلموني حقي وأبايعهم، وارتدَّ الناس حتى بلغت الردة أحدًا فاخترت أن أُظْلَمَ حقي وإن فعلوا ما فعلوا.

أقول: وحديث بريدة «**يَا بُرَيْدَةُ لَا تُبْغِضْ عَلِيًّا** (لا تقع في علي) **إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي**» من المتواترات وقد أخرجه أصحاب الصحاح. راجع مسند الإمام ابن حنبل: (ج٥، ص ٣٥٦)، خصائص النسائي: (٣٣) شرح النهج الحديدي: (ج٢، ص ٤٣٠) مجمع الزوائد: (ج٩، ص ١٢٧) =

لَقِيَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ يَا أَبَا بَكْرٍ، أَنَسِيتَ أَمْ تَنَاسَيْتَ أَمْ خَدَعَتْكَ نَفْسُكَ؟! سَوَّلَتْ لَكَ الْأَبَاطِيلَ، أَوَلَمْ تَذْكُرْ مَا أَمَرَنَا بِهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله مِنْ تَسْمِيَةِ عَلِيٍّ عليه السلام بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَالنَّبِيُّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ وَقَوْلَهُ فِي عِدَّةِ أَوْقَاتٍ: «**هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَقَاتِلُ الْقَاسِطِينَ**»، فَاتَّقِ اللهَ وَتَدَارَكْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ لَا تُدْرِكَهَا، وَأَنْقِذْهَا مِمَّا يُهْلِكُهَا، وَارْدُدِ الْأَمْرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ، وَلَا تَتَمَادَ فِي اغْتِصَابِهِ، وَرَاجِعْ وَأَنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَرَاجَعَ، فَقَدْ مَحَضْتُكَ النُّصْحَ وَدَلَلْتُكَ عَلَى طَرِيقِ النَّجَاةِ، فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ.

٦- ثُمَّ قَامَ **عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ** فَقَالَ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ! يَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ! إِنْ كُنْتُمْ عَلِمْتُمْ وَإِلَّا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَوْلَى بِهِ، وَأَحَقُّ بِإِرْثِهِ، وَأَقْوَمُ بِأُمُورِ الدِّينِ، وَآمَنُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَحْفَظُ لِمِلَّتِهِ، وَأَنْصَحُ لِأُمَّتِهِ، فَمُرُوا صَاحِبَكُمْ فَلْيَرُدَّ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَضْطَرِبَ حَبْلُكُمْ، وَيَضْعُفَ أَمْرُكُمْ، وَيَظْفَرَ عَدُوُّكُمْ، وَيَظْهَرَ شَتَاتُكُمْ، وَتُعْظَمَ الْفِتْنَةُ بِكُمْ، وَتَخْتَلِفُونَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَيَطْمَعَ فِيكُمْ عَدُوُّكُمْ، فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ بَنِي هَاشِمٍ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ، وَعَلِيٌّ مِنْ بَيْنِهِمْ وَلِيُّكُمْ بِعَهْدِ اللهِ وَبِرَسُولِهِ، وَفَرْقٌ ظَاهِرٌ قَدْ عَرَفْتُمُوهُ فِي حَالٍ بَعْدَ حَالٍ: عِنْدَ سَدِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَبْوَابَكُمُ الَّتِي كَانَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَسَدَّهَا كُلَّهَا غَيْرَ بَابِهِ[1]، وَإِيثَارِهِ

= وهكذا حديث عمران بن الحصين ويقال إنه أخا بريدة لأمه أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده: (١١١) تحت الرقم (٨٢٩)، الترمذي في صحيحه: (ج ٥، ص ٢٩٦)، تحت الرقم (٣٧٩٦) و (٣٨٠٩) وأخرجه عنه في مشكاة المصابيح (٥٦٤) جامع الأصول (٩/ ٤٧٠)، ورواه النسائي في الخصائص: (٣٣و٢٦) مستدرك الصحيحين: (ج٣، ص١١٠)، إلى غير ذلك من المعاجم الحديثية راجع بسط ذلك في ذيل الإحقاق: (ج٥، ص ٢٧٤-٣١٧).

(١) حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام قد مر في (ج ٣٩، ص ١٩ - ٣٤) من بحار الأنوار تاريخ مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. وأخرج المؤلف العلامة المجلسي =

إِيَّاهُ بِكَرِيمَتِهِ فَاطِمَةَ دُونَ سَائِرِ مَنْ خَطَبَهَا إِلَيْهِ مِنْكُمْ، وَقَوْلِهِ ﷺ: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا».

وَأَنْتُمْ جَمِيعًا مُصْطَرِخُونَ فِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ أُمُورِ دِينِكُمْ إِلَيْهِ، وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِلَى مَا لَهُ مِنَ السَّوَابِقِ الَّتِي لَيْسَتْ لِأَفْضَلِكُمْ عِنْدَ نَفْسِهِ، فَمَا بَالُكُمْ تَحِيدُونَ عَنْهُ وَتُغِيرُونَ عَلَى حَقِّهِ وَتُؤْثِرُونَ

= من روايات الفريقين في ذلك ما فيه غناء وكفاية، وإن شئت راجع ذيل الإحقاق: (ج ٥، ص ٥٤٠ - ٥٨٦) فقد أخرجه عن الترمذي (ج ١٣، ص ١٧٣) ط الصاوي بمصر، وهو في ط الاعتماد (ج ٥، ص ٣٠٥) تحت الرقم (٣٨١٥)، وعن النسائي في الخصائص (١٣ و١٤) والحافظ أبو نعيم في الحلية (٤ / ١٥٣)، وابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية (٧ / ٣٣٨)، وابن حنبل في مسنده (ج ٤، ص ٣٦٩)، والحاكم في مستدركه (٣/ ١٢٥). وللعلامة الأميني ﷺ في كتابه التدبر بحث ضافٍ ونظرة ثاقبة في حديث سد الأبواب من شاءها فليراجع: (ج ٣، ص ٢٠٢) وما بعده.

ومما يناسب ذكره هنا أن الترمذي (ج ٥، ص ٢٧٨) روى بإسناده عن عروة عن عائشة «أن النبي ﷺ أمر بسد الأبواب إلَّا باب أبي بكر»، ولفظ البخاري (٥/ ٥): «لا يبقين في المسجد باب إلَّا سد، إلَّا باب أبي بكر»، ولم يتفطنوا إلى أن النبي لم يأمر بسد الأبواب إلَّا بابه للخلة ولا للقرابة، وإنما أمر بسد الأبواب لحكم شرعي اقتضى ذلك، وهو أنه لا يحل لأحد أن يستطرق جنبًا مسجد الرسول ﷺ إلاّ من كان طاهرًا طيبًا بنص آية التطهير، ولذلك قال ﷺ: «يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك» رواه الترمذي في (ج ٥، ص ٣٠٣) تحت الرقم (٣٨١١) البيهقي في سننه (٧ / ٦٥)، والخطيب التبريزي في مشكاة المصابي (٥٦٤)، والعسقلاني في تهذيبه (٩ / ٣٨٧) إلى غير ذلك مما تجده في ذيل الإحقاق.

وأما حديث «أنا مدينة العلم وعلي بابها» فقد مضى البحث عنه في (ج ٤٠ ص ٢٠٠ - ٢٠٧) من تاريخ أمير المؤمنين ﷺ وإن شئت راجع ذيل الإحقاق (ج ٥، ص ٤٦٩ - ٥١٥) أخرج الحديث بألفاظه عن معاجم كثيرة منها المستدرك (٣ / ١٢٦ و١٢٧)، وتاريخ بغداد (٢ / ٣٧٧)، وأنساب السمعاني (١١٨٢)، وتاريخ الخلفاء (٦٦).

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا، أَعْطُوهُ مَا جَعَلَهُ اللهُ لَهُ، وَلَا تَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[1].

٧- ثُمَّ قَامَ **أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ**[2] فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ! لَا تَجْحَدْ حَقًّا جَعَلَهُ اللهُ لِغَيْرِكَ، وَلَا تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ عَصَى رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي وَصِيِّهِ وَصَفِيِّهِ وَصَدَفَ عَنْ أَمْرِهِ، ارْدُدِ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ تَسْلَمْ، وَلَا تَتَمَادَ فِي غَيِّكَ فَتَنْدَمَ، وَبَادِرِ الْإِنَابَةَ يَخِفَّ وِزْرُكَ، وَلَا تُخَصَّصْ بِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْهُ اللهُ لَكَ نَفْسَكَ فَتَلْقَى وَبَالَ عَمَلِكَ، فَعَنْ قَلِيلٍ تُفَارِقُ مَا أَنْتَ فِيهِ وَتَصِيرُ إِلَى رَبِّكَ فَيَسْأَلُكَ عَمَّا جَنَيْتَ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[3].

٨- ثُمَّ قَامَ **خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ** فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله قَبِلَ شَهَادَتِي وَحْدِي وَلَمْ يُرِدْ مَعِي غَيْرِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: **أَهْلُ بَيْتِي يَفْرُقُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَهُمُ الْأَئِمَّةُ الَّذِينَ يُقْتَدَى بِهِمْ.**

وَقَدْ قُلْتُ: مَا عَلِمْتُ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

٩- ثُمَّ قَامَ **أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ** فَقَالَ: وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّنَا صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٢١.

(٢) استعرض أبو الفداء في كتابه المختصر في إخبار البشر حديث السقيفة قائلاً: «بادروا سقيفة بني ساعدة فبايع عمر أبا بكر وانثال الناس يبايعونه خلا جماعة من بني هاشم، والزبير، وعتبة بن أبي لهب، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عمرو، وسلمان الفارسي، وأبي ذر، وعمار بن ياسر، ووراء بن عازب، وأبي بن كعب، وأبي سفيان من بني أمية ومالوا مع علي عليه السلام».

وقال اليعقوبي في تاريخه (٢ / ١١٤): «أنه تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي. ثم ذكر هؤلاء الجماعة المنكرين لبيعته».

(٣) سورة فصّلت، الآية: ٤٦.

أَنَّهُ أَقَامَ عَلِيًّا عليه السلام، يَعْنِي فِي يَوْمِ غَدِيرِ خُمٍّ، فَقَالَتِ: الْأَنْصَارُ مَا أَقَامَهُ إِلَّا لِلْخِلَافَةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَا أَقَامَهُ إِلَّا لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ مَوْلَى مَنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله مَوْلَاهُ، وَأَكْثَرُوا الْخَوْضَ فِي ذَلِكَ، فَبَعَثْنَا رِجَالًا مِنَّا إِلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله فَسَأَلُوهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: قُولُوا لَهُمْ:

عَلِيٌّ عليه السلام وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدِي وَأَنْصَحُ النَّاسِ لِأُمَّتِي.

وَقَدْ شَهِدْتُ بِمَا حَضَرَنِي فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا.

١٠- ثُمَّ قَامَ **سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ** فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! اشْهَدُوا عَلَيَّ أَنِّي أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ، يَعْنِي الرَّوْضَةَ، وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَهُوَ يَقُولُ:

أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا عَلِيٌّ إِمَامُكُمْ مِنْ بَعْدِي وَوَصِيِّي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ وَفَاتِي، وَقَاضِي دَيْنِي، وَمُنْجِزُ وَعْدِي، وَأَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِي عَلَى حَوْضِي، فَطُوبَى لِمَنْ تَبِعَهُ وَنَصَرَهُ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ وَخَذَلَهُ.

١١- وَقَامَ مَعَهُ أَخُوهُ **عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ** فَقَالَ: سَمِعْنَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: **أَهْلُ بَيْتِي نُجُومُ الْأَرْضِ، فَلَا تَتَقَدَّمُوهُمْ وَقَدِّمُوهُمْ، فَهُمُ الْوُلَاةُ بَعْدِي.** فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِكَ؟.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: **عَلِيٌّ وَالطَّاهِرُونَ مِنْ وُلْدِهِ.**

وَقَدْ بَيَّنَ عليه السلام، فَلَا تَكُنْ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ، وَلَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ، وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

١٢- ثُمَّ قَامَ **أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ** فَقَالَ: اتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ فِي أَهْلِ

بَيْتِ نَبِيِّكُمْ، وَرُدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمُ الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ لَهُمْ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ مِثْلَ مَا سَمِعَ إِخْوَانُنَا فِي مَقَامٍ بَعْدَ مَقَامٍ لِنَبِيِّنَا عليه السلام وَمَجْلِسٍ بَعْدَ مَجْلِسٍ يَقُولُ: **أَهْلُ بَيْتِي أَئِمَّتُكُمْ بَعْدِي**، وَيُومِئُ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام وَيَقُولُ: **هَذَا أَمِيرُ الْبَرَرَةِ وَقَاتِلُ الْكَفَرَةِ، مَخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ، مَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ**. فَتُوبُوا إِلَى اللهِ مِنْ ظُلْمِكُمْ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ، وَلَا تَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ، وَلَا تَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُعْرِضِينَ.

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: **فَأُفْحِمَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ حَتَّى لَمْ يُحِرْ جَوَابًا، ثُمَّ قَالَ: وَلِيتُكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ أَقِيلُونِي أَقِيلُونِي**»[1]. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: انْزِلْ عَنْهَا يَا لُكَعُ»[2].

كيف قَيَّم الإمام عليه السلام الشيخين:

أمّا كيف عاش الإمام في عهد الشيخين؟. وكيف قيَّم هذا العهد؟. فلقد عاش صابرًا يسعى لإصلاح الوضع ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ثم أخذ يربِّي جيلًا من الرساليين، ويشكِّل قوة ضغط ضد الانحرافات

---

(١) روي حديث إقالته هذا في الصواعق المحرقة (٣٠) ولفظه: «أقيلوني أقيلوني لست بخيركم»، والإمامة والسياسة (٢٠) ولفظه بعدما قالت السيدة فاطمة عليها السلام في محاجةٍ لها معه: «والله لأدعون الله عليك في كل صلاة أُصلِّيها»، «فخرج أبو بكر باكيًا، فاجتمع إليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقًا حليلته مسرورًا بأهله وتركتموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني من بيعتي».

ورواه في مجمع الزوائد: (ج٥ ص١٨٣) نقلًا عن الطبراني في الأوسط ولفظه: «قام أبو بكر الصديق من الغد حين بويع فخطب الناس فقال: أيها الناس إني قد أقلتكم رأيي، إني لست بخيركم فبايعوا خيركم»، ونقله في شرح النهج: (ج١، ص٥٦) وقال: اختلف الرواة في هذه.

(٢) بحار الأنوار، ج٢٨، ص ١٨٩ - ٢٠١.

الاجتماعية، وضد جناح بني أمية الذين كانوا يسعون للتسلل إلى أجهزة الحكم.

ويصف الإمام هذا العهد وصفًا دقيقًا في خطبته المعروفة بالشقشقية. ونستغني نحن بدورنا، عن المزيد من التفاصيل بشرح فقرات هذه الخطبة التي أوجزت في كلماته ما يمكن أن تتسع لها موسوعة تاريخية.

يذكر الإمام في هذه الخطبة التي انحدرت عنه كالشقشقة تنحدر من الإبل، ويذكر أن أبا بكر لبس الخلافة كالقميص في الوقت الذي كان يعلم أني أحق بها، حيث إني كقطب رحى الخلافة ومثل القمة التي ينحدر عنها السيل، ولا يبلغها الطير لشموخ محلّها. أما إني قد أرخيت عليها سترًا، لأن بدأت أفكر بين أمرين: هل أقدم ولا يد لي، أم أحجم وأصبر على ظلام أعمى يطول حتى يجعل الكبير هرمًا، والصغير أشيب، والمؤمن كادحًا حتى يلقى ربه؟.

وقد قال بالنص[1]: «**أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا**[2] **فلان (ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ)، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنْ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا**[3]**، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ**[4]**، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ**[5]**، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ**

(١) ننقل النص والتعليقات من نهج البلاغة تحقيق د. صبحي صالح.
(٢) تقمصها: لبسها كالقميص.
(٣) سدل الثوب: أرخاه.
(٤) الجذاء بالجيم والذال المعجمة: المقطوعة.
(٥) الطخية: الظلمة.

حَتَّى يَلْقَى رَبَّه».

ثم يبيّن الإمام عليه السلام أنه رأى الصبر أقرب إلى الرشد والعقل، فصبر صبر من أصاب عينه قذىً أو اعترضت حلقه عَظْمَةٌ لأنه يرى ما أورثه النبي صلى الله عليه وآله من الخلافة يُنتهب منه نهبًا، وظلّ على هذه الحال، حتى مضى الخليفة الأول لسبيله (وتوفاه الله) فأوصى بالخلافة (للخليفة) الثاني.

ويتساءل الإمام عليه السلام: كيف كان أبو بكر يستقيل من الخلافة في حياته ثم يتشبث بها حتى بعد مماته، إذ كانت معاهدة بينهما أن يقتسماها معًا، ويقول بالنص:

«فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى، فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا[1]، أَرَى تُرَاثِي نَهْبًا[2]. حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى ابْنِ الْخَطَّابِ بَعْدَهُ.

ثم تمثل بقول الأعشى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا[3] وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَبًا بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّمَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا»[4].

ثم يصف شخصية الخليفة الثاني، فيقول: لقد وضع الأول

---

(١) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

(٢) التراث: الميراث.

(٣) الكور: الرحل أو هو مع أداته.

(٤) تشطّرا ضرعيها: اقتسماها، فأخذ كل منها شطرًا. والضرع: ثدي الناقة.

الخلافة في محل خشن إذا جرح أحدث جرحًا غليظًا، وإذا اقتربت منه يصعب عليك مسّه، و(بذلك) تكثر عنده الكبوات والاعتذار منها، وقد أصبحت السلطة كالإبل الصعبة، إذا أوقفها صاحبها أضرَّ بها حيث يخرم أذنها، وإذا تركها اقتحمت المهالك، وهكذا أضحت السلطة لا تنفع الشدة فيها لأنها تضر بالناس، ولا يصح الإهمال لأنه يفسدها.

ويبدو أن الإمام عليه السلام يشير بذلك إلى أن حزمه ولينه لم يكونا بقدر مناسب ولا كانا في الموقع المناسب، بل كان شديدًا في مقام يتناسب اللين، ولينًا عندما يستوجب الشدة.

ثم يصف حال الناس الذين أصيبوا بخبط فلم يعرفوا الهدى عن الضلال، كما ابتلوا بحالة التمرد انتهى بهم إلى حالة النفاق، والسير على غير هدى، ولكن مع طول المدة وشدة المحنة آثرت الصبر. ويقول الإمام عليه السلام:

«فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمُهَا[1] وَيَخْشُنُ مَسُّهَا وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ[2] فِيهَا وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ[3]، إِنْ أَشْنَقَ[4] لَهَا خَرَمَ[5] وَإِنْ أَسْلَسَ[6] لَهَا تَقَحَّمَ[7]، فَمُنِيَ النَّاسُ[8] -لَعَمْرُ اللهِ-

(١) كلمها: جرحها، كأنه يقول: خشونتها تجرح جرحًا غليظًا.
(٢) العثار: السقوط والكبوة.
(٣) الصعبة من الإبل: ما ليست بذلول.
(٤) أشنق البعير وشنقه: كفّه بزمام حتى ألصق ذخراه (العظم الناتئ خلف الأذن) بقادمة الرحل.
(٥) خرم: قطع.
(٦) أسلس: أرخى.
(٧) تقحّم: رمى نفسه في القحمة أي الهلكة.
(٨) مني الناس: ابتُلوا.

بخَبْطٍ[1] وَشِمَاسٍ[2] وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ[3]، فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ».

ثم يصف الشورى التي أمر بها الخليفة الثاني حيث جعلها في ستة.

من كان يشك في أنه أفضل من الأول!، فكيف يوضع عند أمثال الأقران المتشابهين مع بعضهم وليس معه.

وقد قَبِلَ الإمام عليه السلام لِمَا رآه من مصلحة الدين بالوضع، كأنه واحد من سرب الطيور، إذا هبطوا هبط معهم، وإن حلّقوا طار معهم.

يقول الإمام عليه السلام: **«حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي سِتَّةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ، فَيَا لَلَّهِ وَلِلشُّورَى! مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ[4]، لَكِنِّي أَسْفَفْتُ[5] إِذْ أَسَفُّوا، وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا».**

ويمضي الإمام عليه السلام في حديثه يصف عهد الخليفة الثالث ومن بعده مما نتحدث عنه تباعًا.

كيف قتل الخليفة الثاني؟

يرى بعض الباحثين أن الحزب الأموي كان وراء مقتل الخليفة الثاني، خصوصًا وقد ضيّق عليهم في أواخر عهده. فهذا عمرو بن

---

(١) خبط: سير على غير هدى.

(٢) الشماس بالكسر: إباء ظهر الفرس عن الركوب.

(٣) الاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنه يسير عرضًا في حال سيره طولاً.

(٤) النظائر: جمع نظير أي المشابه بعضهم بعضًا دونه.

(٥) أسفّ الطائر دنا من الأرض.

العاص يتأفف ويقول: لعن الله زمانًا صرت فيه عاملًا لعمر بن الخطاب، والمغيرة يحقد عليه لأنه عزله عن البصرة بعد اتّهامه بالزنى، وفي أكثر من مناسبة، كان يخاطبه قائلًا: والله لا أظن أبا بكرة قد كذب عليك.

ويرى عبد الرحمن بن أبي بكر أن جفينة غلام سعد بن أبي وقاص كان مشتركًا في الجريمة، وسعد كان تربطه بالبيت الأموي قرابة حميمة، حيث إن أمّه كانت أخت أبي سفيان.

والواقع: أن الأسباب التي يرى المؤرخون أنها كانت وراء إقدام أبي لؤلؤة على اغتيال الخليفة الثاني، تافهة، ولا يمكن أن تصمد أمام النقد، حيث إن مجرد رفع المغيرة مولاه الضريبة عليه لا تدعو لاغتيال الخليفة، بل لاغتيال مولاه، والذي تذهب إليه الضريبة مباشرة. فلما أشرف الخليفة على الوفاة جعلها شورى بين ستة، وجعل الإمام عليًا عليه السلام واحدًا منهم، أما الباقون فهم: (عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص).

وكان واضحًا من طبيعة الشورى، ومن وصية عمر بأن يؤخذ برأي الثلاثة، الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، الذي كان يفضل صهره عثمان. وهكذا فإن الخليفة الثاني اختار خليفته بلباقة، ولعله فعل ذلك بوحي مخاوفه السابقة من انتقال الخلافة إلى الإمام عليه السلام باعتباره النجم اللامع الذي إذا سطع في سماء الخلافة لم يبق لغيره بريق، أولم يقل -وهو يستعرض صفات الستة، وينعت كل واحد منهم بأبشع الصفات، إلّا عليًا-. فيقول فيه: «لله أَنْتَ، لَوْ لَا دُعَابَةٌ فِيكَ، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ وُلِّيتَهُمْ لَتَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالْحَقِّ الْوَاضِحِ»[1].

(١) بحار الأنوار، ج٣١، ص٣٨٩.

وهذا يعني أن خلافة علي عليه السلام كانت تنسف الأسس التي بناها الخليفتان من قبله، ولعله لذلك رفض الإمام شرطًا من عبد الرحمن بن عوف عليه بأن يعمل بسيرة الشيخين.

إلّا أن الإمام عليه السلام حين خرج من بيت الشورى وقد تمت البيعة، لعثمان بن عفان قال: «**فَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ، وَمَعْدِنُ الْحِكْمَةِ، وَأَمَانٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ طَلَبَ، إِنَّ لَنَا حَقّاً إِنْ نُعْطَهُ نَأْخُذْهُ، وَإِنْ نُمْنَعْهُ نَرْكَبْ أَعْجَازَ الْإِبِلِ..**»[1].

ثم التفت إلى ابن عوف وقال: «**لَيْسَ هَذَا بِأَوَّلِ يَوْمٍ تَظَاهَرْتُمْ فِيهِ عَلَيْنَا، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾**[2]، **وَاللهِ مَا وَلِيَتْ عُثْمَانَ إِلَّا لِيَرُدَّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ**»[3].

وقال أيضًا: «**لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَ اللهِ لَأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَ زِبْرِجِهِ**»[4].

بنو أمية تتسلل إلى السلطة:

إذا كانت معادلة السلطة مالت في أخريات أيام الخليفة الثاني إلى جانب الخط الرسالي، فإنها فسدت في عهد الخليفة الثالث لمصلحة الخط الأموي بعد نجاح هذا الخط في دعم خلافة واحد منهم، وإخفاء آثار

(١) بحار الأنوار، ج٣١، ص٤٠٤.
(٢) سورة يوسف، آية: ١٨.
(٣) بحار الأنوار، ج٣١، ص٤٠٣.
(٤) بحار الأنوار، ج٢٩، ص٦١٢.

اغتيال الخليفة، بقتل المشاركين فيها من غير حزبهم!.

وهكذا لم يكن تسلل بني أمية إلى السلطة في عهد الخليفة الثالث خارجًا عن منطق الأحداث، فإنما صعد نجم الخليفة بهم. ولعل الشرط الثالث الذي اقترحه عبد الرحمن على الإمام علي فرفضه وقبله عثمان كان محتواه إبقاء امتيازات بني أمية، ومنها ولاية الشام لمعاوية. ولقد قال الخليفة الثاني عند وفاته لعثمان: «هِيهاً إِلَيْكَ كَأَنِّي بِكَ قَدْ قَلَّدَتْكَ قُرَيْشٌ هَذَا الْأَمْرَ لِحُبِّهَا إِيَّاكَ، فَحَمَلْتَ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، وَآثَرْتَهُمْ بِالْفَيْءِ، فَسَارَتْ إِلَيْكَ عِصَابَةٌ مِنْ ذُؤْبَانِ الْعَرَبِ فَذَبَحُوكَ عَلَى فِرَاشِكَ ذَبْحاً، وَاللهِ لَئِنْ فَعَلُوا لَتَفْعَلَنَّ، وَلَئِنْ فَعَلْتَ لَيَفْعَلُنَّ، ثُمَّ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهِ، فَقَالَ: فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَاذْكُرْ قَوْلِي، فَإِنَّهُ كَائِنٌ»[1].

هكذا أوجز بعض المؤرخين الوضع في عهد الخليفة الثالث فقال: «لقد أوطأ بني أمية رقاب الناس، وولّاهم الولايات، وأقطعهم القطائع وافتُتحت أرمينية في زمانه فأخذ الخمس كله ووهبه لمروان»[2].

وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد خلة، فأعطاه أربعمائة ألف درهم، وافتتح خلافته بإرجاع الحَكَم بن أبي العاص وبنيه وأسرته إلى المدينة بعد أن طردهم رسول الله صلى الله عليه وآله منها، ولم يقبل (رسول الله صلى الله عليه وآله) بهم شفاعة أحد أبدًا. كما رفض الشيخان أبو بكر وعمر إرجاعهم إليها وشفاعة المتشفعين بهم.

وقد أنكر المسلمون ذلك أشد الإنكار. ولكن عثمان لم يلبث أن ولّاه صدقات قضاعة فبلغت ثلاثمائة ألف درهم فوهبها له.

(١) بحار الأنوار، ج٣١، ص٣٨٩.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٩٨.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد تصدق بموضع سوق في المدينة يُسمَّى (بهزون) على المسلمين فأقطعه ابن عفان إلى الحرث بن الحَكَم شقيق مروان -كما يذكر ذلك ابن أبي الحديد- ويضيف: «وأقطع مروان فدك وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله تارة بالميراث وتارة بالنحلة فدفعت عنها. وحمى المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية. وأعطى عبدالله بن أبي سرح -وهو أخوه من الرضاعة- جميع ما أفاء الله عليه من فتح إفريقية بالمغرب وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين.

وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال و قد كان زوجه ابنته أم أبان فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى فقال عثمان: أ تبكي أن وصلت رحمي!.

قال: لا ولكن أبكي لأني أظنك أنك أخذت هذا المال عوضا عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيرا. فقال: ألق المفاتيح يا ابن أرقم فأنا سنجد غيرك»[1].

الثورة التي لم ترحم:

أنشبت بنو أمية أظفارها في السلطة، وبدأت تنهب أموال المسلمين نهبًا، وتبني بها حزبها السياسي، وقوّتها العسكرية. ولأنها كانت ذات نفوذ سياسي قبل الإسلام، ولها علاقات مع القوى السياسية والعسكرية في الجزيرة، وتجارب سياسية، ولأن سماحة الإسلام وضعف بعض

(١) شرح نهج البلاغة، ج١، ص١٩٨.

القيادات هيّأت لهم فرصة النمو في الظل، فقد حافظوا على أفكارهم وتقاليدهم وعلاقاتهم، بل وهيكلية قيادتهم طوال الفترة التي كانوا بعيدين فيها عن السلطة ظاهرًا، بالرغم من تداخلهم فيها.

بل إن أبا سفيان، وهو قائدهم في الجاهلية ومُوجِّههم في الإسلام، يزور الخليفة الثالث، فيجد عنده حاشيته من بني أمية، فيسأل جليسه: «هل في الحضور غريب؟».

وكان قد كُفَّ بصرهُ آنئذٍ، فلما أجابه بالنفي واطمأن أبدى ما يجول في خاطره، فخاطب قومه: «تلقَّفوها يا بني عبد الدار تلقُّف الصبيان للكرة، فَوَالذي يحلف به أبو سفيان لا جنَّة ولا نار!.

فقام إليه الإمام علي عليه السلام الذي كان حاضرًا في طرف المجلس فنهره. فقال أبو سفيان: العتب ليس عليَّ وإنما على الذي غرَّني وقال: لا غريب بين الحضور».

فتصوَّر هذا العذر السخيف من ذلك الشيخ الذي ما دخل الإيمان إلى قلبه.

وعندما تصاعدت أمواج الثورة ضد تصرفات بني أمية، في عهد الخليفة الثالث، مرّ معاوية وكان يومذاك قائد قوات بني أمية واقعًا، ووالي الشام -في الظاهر-، مرّ بقوم من كبار المهاجرين، فيهم علي عليه السلام وطلحة والزبير فقال: «إنكم تعلمون أن هذا الأمر كان الناس يتغالبون عليه، حتى بعث الله نبيَّه فتفاضلوا بالسابقة والقدمة والجهاد، فإن أخذوا بذلك فالأمر أمرهم والناس لهم تبع، وإن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك، ورده الله إلى غيرهم، وإن الله على البدل لقادر،

وإني قد خلّفت فيكم شيخًا فاستوصوا به خيرًا وكاتفوه تكونوا أسعد منه بذلك»[1].

وعرف الحاضرون مغزى كلامه، فلقد هدَّدهم بأنه وحزبه سوف ينقلبون على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله لو لم ينتصروا لعثمان.

وهكذا يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: «من هذا اليوم أنشب معاوية أظفاره في الخلافة لأنه غلب على ظنه قتل عثمان.. إلى قوله: وإن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك ورده الله إلى غيرهم وإن الله على البدل لقادر.. وإنما يعني نفسه؛ ولذا تربص بنصرة عثمان لما استنصره»[2].

لقد أتم الحزب الأموي استعداده للانقلاب على النظام الإسلامي، وإقامة نظام جاهلي جديد، يتخذ من الدين وسيلة جديدة للسيطرة.

وثار الناس من كل مكان، ولا سيما من الكوفة والبصرة، ومصر، ومشى من كل منها ألف مسلح إلى المدينة في محاولة للضغط على الخليفة، وكان هوى أهل الكوفة في الزبير، في حين كان أهل البصرة يميلون إلى طلحة، أما أهل مصر فكانوا شيعة الإمام عليه السلام.

ولم يكن الإمام عليه السلام راضيًا لفعال الخليفة، ولكنه حاول جهده تجنب الفتنة. وكم كان يسعى لإصلاح ما أفسده بنو أمية في الحكم، إلاّ أن الخرق كان قد اتَّسع على راقعه.

ولعل الحديث التالي يكفينا شاهدًا على موقف الإمام الإصلاحي، وكيف كان يُجابَهُ بضغوط بني أمية الغالبين على أمر الخليفة. ولعلهم

(١) شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١٣٨.
(٢) راجع شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١٣٨ - ١٤٠.

كانوا ينتظرون أمرًا آخر، أو كانت قيادتهم المتمثلة في معاوية تخطط فعلًا لقتل الخليفة عسى أن يتخذوه شعارًا لحركتهم نحو السلطة.

تقول الرواية:

«إن الثوار كتبوا إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، وأقسموا له بالله أنهم لا يرجعون عنه أبدًا، وغير تاركيه حتى يعطيهم ما يلزمهم من حق الله. وأحس عثمان أن القوم جادُّون في طلباتهم، فأرسل إلى علي عليه السلام فلما جاءه قال له: يا أبا الحسن قد كان من الناس ما رأيت، وكان مني ما قد علمت، ولست آمَنَهُم على قتلي، فارددهم عنّي، فإن لهم والله أن أعفيهم من كل ما يكرهون، وأن أعطيهم من نفسي ومن غيري ما يريدون وإن في ذلك سفك دمي.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِنَّ النَّاسَ إِلَى عَدْلِكَ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى قَتْلِكَ، وَإِنِّي لَأَرَى القَوْمَ لَا يَرْضَوْنَ إِلَّا بِالرِّضَا. وَقَدْ كُنْتَ أَعْطَيْتَهُمْ فِي المَرَّةِ الأُوْلَى عَهْدَ اللهِ أَنْ تَرْجِعَ عَنْ جَمِيْعِ مَا نَقَمُوْا، فَرَدَدْتُهُمْ عَنْكَ، وَلَمْ تَفِ لَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا تَغُرَّنِّي -هَذِهِ المَرَّةَ- مِنْ شَيْءٍ فَإِنِّي مُعْطِيْهِمْ عَلَيْكَ الحَقَّ**».

قال: نعم، فأعطهم والله الآن، فوالله لأَفِيَنَّ لهم بكل ما تريد.

فخرج علي إلى الناس، وقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ إِنَّمَا طَلَبْتُمُ الحَقَّ وَقَدْ أُعْطِيْتُمُوْهُ. إِنَّ عُثْمَانَ زَعَمَ أَنَّهُ مُنْصِفُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ غَيْرِهِ، وَرَاجِعٌ عَنْ كُلِّ مَا تَكْرَهُوْنَ، فَاقْبَلُوْا مِنْهُ، وَوَكِّدُوْا عَلَيْهِ**».

فقال الناس: قد قبلنا، فاستوثق لنا منه، فإنّا والله لا نرضى بقول دون فعل.

فقال لهم: «**ذَلِكَ لَكُمْ**».

وتمضي الرواية تحدثنا عن أن رسالة خرجت -بعد هذه المعاهدة- من بيت الخليفة الثالث إلى عُمّاله وعليها خاتم الخليفة، يدعوهم فيها إلى نصرته، وقتل رؤساء المعارضين، وأنه أخذ يتأهب للقتال ويُعِدُّ جيشًا عظيمًا من رقيق الخمس. مما أثار شكوك المعارضين، فعادوا إليه، وطالبوه بعزل الولاة فورًا، أو خلع نفسه فلم يفعل. ثم أنكر الرسالة وادَّعى أنها تزوير عليه. ولعل أصابع بني أمية داخل البيت كانت قد زوَّرت الرسالة وغيّمت سحب الشكوك، ووقعت الفتنة[1].

وهكذا جرت الرياح في اتجاه العنف، وقُتِلَ عثمان، وغلب الثوار على المدينة. وَلَخَّصَ الإمام علي عليه السلام الواقعة بعدئذ في كلمتين، حين قال عن مقتله: «**لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا**.

وأضاف: «**وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ: اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الأَثَرَةَ، وَجَزَعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الجَزَعَ، وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالجَازِعِ**»[2].

ولعل حكم الله الواقع في المستأثر أن يكبوَ به فرس السلطة ويقتل على فراشه، وحكمه في الجازع أن يكون كمن يجتني الثمرة في غير أوانها فلا يهنأ بها. وهكذا استطاع الحزب الأموي أن يستفيد من مقتل الخليفة أكثر من الثوار. حتى تبرَّأ من مقتل الخليفة مَنْ كان مِنْ أشد المحرِّضين عليه، فهذه أم المؤمنين عائشة كانت تهتف: «اقْتُلُوا نَعْثَلًا فَقَدْ كَفَرَ»[3]. وهذا طلحة والزبير، كانا يواصلان التحريض عليه ويُجرِّدان الجيوش

(١) تاريخ الطبري، ج٥، ص١١٢.

(٢) نهج البلاغة، من كلان له عليه السلام في معنى قتل عثمان. ويقول ابن أبي الحديد في شرح النهج ج٣، ص٢٧: «سعيد الخدري، أنه سئل عن مقتل عثمان هل شهده أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال نعم شهده ثمانمائة».

(٣) بحار الأنوار، ج٣٢، ص١٤٢.

ضدَّه. وهذا عمرو بن العاص يؤلِّب عليه حتى الرعاة. ولكنهم جميعًا انحازوا إلى صف المطالبين بدمه.

ولو سمعوا نصيحة الإمام عليه السلام لكانت الخلافة تعود إلى مراسيها دون إراقة دماء، وإثارة الفتن.

الفصل الرابع

عهد إمامته عليه السلام

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هكذا سعت الخلافة نحو الإمام عليه السلام:

وحملت أمواج الأضطراب سفينة الأمة بعيدًا عن شواطئ الأمان، واجتمع المهاجرون والأنصار وفيهم طلحة والزبير، وأجمعوا على بيعة الإمام عليه السلام فجاؤوا إليه مسرعين وقالوا: «لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ إِمَامٍ.

قَالَ عليه السلام: **لَا حَاجَةَ لِي فِي أَمْرِكُمْ فَمَنِ اخْتَرْتُمْ رَضِيتُ بِهِ.**

فَقَالُوا: مَا نَخْتَارُ غَيْرَكَ وَتَرَدَّدُوا إِلَيْهِ مِرَاراً. وَقَالُوا لَهُ فِي آخِرِ ذَلِكَ: إِنَّا لَا نَعْلَمُ أَحَداً أَحَقَّ بِهِ مِنْكَ لَا أَقْدَمَ سَابِقَةً وَلَا أَقْرَبَ قَرَابَةً مِنْ رَسُولِ اللهِ.

فَقَالَ عليه السلام: **لَا تَفْعَلُوا فَإِنِّي أَكُونُ وَزِيراً خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَكُونَ أَمِيراً.**

فَقَالُوا: وَاللهِ مَا نَحْنُ بِفَاعِلِينَ حَتَّى نُبَايِعَكَ.

قَالَ عليه السلام: **فَفِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّ بَيْعَتِي لَا يَكُونُ خَفِيّاً وَلَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ.**

إلى أن قَالَ عليه السلام: **دَعُونِي وَ الْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لَهُ وُجُوهٌ وَ لَهُ أَلْوَانٌ لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ.**

فَقَالُوا: نَنْشُدُكَ اللهَ أَ لَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَ لَا تَرَى الْإِسْلَامَ؟. أَ لَا

تَرَى الْفِتْنَةَ؟ أَ لَا تَخَافُ اللهَ؟.

فَقَالَ عليه السلام: **قَدْ أَجَبْتُكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ أَرْكَبُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ..**»[1].

أجل، إن الإمام عليه السلام يرفض الخلافة لأن أمواج الفتنة قد بلغت أعلى مد، ويود لو يكون وزيرًا يساهم من موقع حُرٍّ في إخماد نيران الفتنة، ولكن لا أحد رشح نفسه للخلافة، ولا أحد كان يقبل بغير الإمام عليه السلام.

والإمام يرفض بيعة أهل الحل والعقد من دون رضا الناس، ويرى ذلك حق عامة الناس، فيجعلها في المسجد على الملأ العام.

ويشترط عليهم أن يقودهم على علمه، لا بجهلهم، ووفق سنّة الرسول، لا مصالح أصحابه وضغوط القوى السياسية.

واستقبل الإمام عهده، بالثورة ضد الوضع الفاسد، وقد عقد عزمات قلبه جميعًا على مواجهة كل تلك العقبات التي خضع لها أو توقف عندها من كان قبله، وأعظمها القوة السياسية المتنامية عند بني أمية، ومن تحالف معهم من بقايا العهد الجاهلي.

والواقع أن تصفية هذه القوة، كانت من أعظم المهام الرسالية التي بدأها الرسول، وتابع أصحابه من بعده نهجه بفتور، حتى إذا جاء الإمام عليه السلام وكانت الظروف مؤاتية، نهض بها بعزم راسخ.

أَوَليسوا هم الشجرة الملعونة في القرآن، أَوَليس الرسول صلى الله عليه وآله قد حذَّر منهم، وقال: «**إِذَا رَأَيْتُمْ مُعَاوِيَةَ عَلَى مِنْبَرِي يَخْطُبُ فَاقْتُلُوهُ**»[2].

(١) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٧.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٣، ص١٩١.

إنهم كانوا أكبر قوة سياسية في الجزيرة، وكان الرسول قد احتواهم، لعلهم يؤوبون إلى رشدهم، ويُكيِّفون أنفسهم مع الواقع الجديد، أو تقوى شوكة الإسلام فتقضي عليهم في الوقت المناسب. وها قد حان ذلك الوقت، فإنهم ليس فقط لم يُذوِّبوا أنفسهم في بوتقة المجتمع الإسلامي، بل ما فتئوا يُدبِّرون المؤامرات ضد القوى الرسالية، ويتحيَّنون الفرص للانقضاض على السلطة.

ومن هنا نجد الإمام عليًّا عليه السلام يبدأ عهده بالهجوم على بني أمية وامتيازاتهم التي ابتزُّوها من الخليفة السابق.

ويروى عن ابن عباس أن عليًّا خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: «**أَلَا وَإِنَّ كُلَّ قَطِيعَةٍ أَقْطَعَهَا عُثْمَانُ، أَوْ مَالٍ أَخَذَهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِمْ فِي بَيْتِ مَالِهِمْ، وَلَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ، وَفُرِّقَ فِي الْبُلْدَانِ. فَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسَعْهُ الحَقُّ فَالْبَاطِلُ أَضْيَقُ عَلَيْه**»[1].

وعزل الإمام عُمَّال الخليفة السابق وهم حكام الولايات الإسلامية، وأصرَّ على عزل معاوية، قائد الحزب الأموي السياسي والعسكري، والذي كان يرضى من الإمام إبقاءه على الشام كما فعل السابقون، لعله يجد فرصة أخرى لتحقيق هدف حزبه في السلطة.

لقد كانت تلك أعظم مسؤوليات الإمام عليه السلام إذ عهد إليه رسول الله صلى الله عليه وآله تكميل ما بدأه من تصفية القوى الجاهلية وبقاياها، وقال له مرة: «**تُقَاتِلُهُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ، كَمَا قَاتَلْنَاهُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ**».

وإن أهل البصائر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله واعون تمامًا لهذه

(١) بحار الأنوار، ج٣٢، ص١٤.

الرسالة الإلهية التي يجب عليهم تنفيذها، وإن الإمام إنما قبل بالإمارة لتحقيق هذا الهدف. وبذل قصارى جهده لتحقيق واحد من هدفين متدرجين:

١- فإما سحق بقايا النظام الجاهلي وإقامة نظام العدل الإسلامي.

٢- وإما تعرية هذه القوّة الجاهلية وفضحها وإيجاد حركة رسالية تهدف إلى القضاء عليها وتمنعها من تحقيق كل أهدافها.

ولأن الظروف لم تسمح بتحقيق الهدف الأول، فلقد حقَّقَ الهدف الثاني، وأنشأ في الأمة طليعةً رساليةً ناضلت ضد بني أمية حتى تمت تصفيتهم كاملًا دون أن يُحقِّقوا هدفهم الرئيسي، وهو إعادة الناس إلى الجاهلية. والقصة التالية تكشف جانبًا من أهداف معاوية:

كان معاوية -بعد أن تَمَّ له الأمر ظاهرًا- يستمع إلى الأذان، وإلى جانبه بعض خواصِّه، وإذا به يَتَمَيَّزُ من الغيظ عندما يسمع المنادي يهتف: «أشهد أن محمدًا رسول الله»، فيسأله صاحبه عن ذلك، فيقول:

«إن أخا تيم حكم وذهب، فقال الناس: رحم الله أبا بكر.

وكذلك أخو عدي، لم يزد الناس بعد حكمه أن قالوا: رحم الله عمر».

ولكن هذا ابن أبي كبشة (أي رسول صلى الله عليه وآله) لم يَرْضَ حتى قُرِنَ اسمه باسم الله. لا والله إلَّا دفنًا دفنًا».

أمّا يزيد ابنه الماجن فقد أنشد قائلًا:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

من هنا وضع أمير المؤمنين عليه السلام استراتيجيته على أساس محاربة الباطل وتصفية الحزب الأموي مهما كلَّفه الأمر.

الإمام عليه السلام يجاهد أعداء الدين:

وكأية ثورة أصيلة؛ واجهت ثورةُ أنصار الحق، ثلاثة محاور معادية:

١- بقايا العهد البائد.

٢- الانتهازيين.

٣- المتطرفين.

أمّا الانتهازيون فهم الذين يُسايرون الثورة أيام تصاعد مدها يبغون ركوبها لتحقيق مطامعهم السياسية باسم المساهمة فيها. فإذا رأوا قيادة الثورة واعية، قلبوا ظهر المِجَنِّ وحاربوها، وهم عادة ما ينهزمون أمامها. إن قوة هذا الفريق كامنة في مكرهم وتلوُّنهم، فإذا افْتُضِحُوا فشلوا وانهزموا.

وكان طلحة والزبير وأقرانهما من هذا الفريق حيث عارضوا الخليفة الثالث، وكانوا يُمنُّون أنفسهم بالسلطة أو بنصيب منها على الأقل. فلما رأوا ميل الناس إلى أمير المؤمنين، انحنوا للعاصفة مؤقتًا، وبايعوه، بل كانوا أول من بادر إلى بيعته طمعًا في تقاسم السلطة معه. ولكنهم وجدوا الإمام لا يطلب الحق بالجور، ولم يُحقِّقْ طلبَ طلحة والزبير إمارةَ الكوفة والبصرة، وكان لهما فيهما شيعة وهواة، فتمردوا عليه ونكثوا بيعته، وطالبوه بدم من قتلوهم، وادَّعوا أنهم أولياء الخليفة الثالث، وتحمَّلوا وزرًا عظيمًا، لأنهم بادروا إلى إشعال نار الفتنة بين المسلمين، وكانت الحرب التي أعلنوها أول حرب دامية بين المسلمين.

حرب الجمل:

كان أبو بردة عوف الأزدي ممن تخلَّف عن نصرة الإمام في الكوفة، فلما عاد الإمام فاتحًا من البصرة، عاتب المُتخلّفين، وقال: «إِنَّهُ

قَدْ قَعَدَ عَنْ نُصْرَتِي رِجَالٌ مِنْكُمْ، وَأَنَا عَلَيْهِمْ عَاتِبٌ زَارٍ، فَاهْجُرُوهُمْ وَأَسْمِعُوهُمْ مَا يَكْرَهُونَ؛ لِيُعْرَفَ بِذَلِكَ حِزْبُ اللهِ عِنْدَ الْفُرْقَةِ».

.. فقام إليه أبو بردة، وقال: يا أمير المؤمنين أرأيت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة بِمَ قُتلوا؟.

قال عليه السلام: «قُتِلُوا بِمَا قَتَلُوا شِيعَتِي وَعُمَّالِي، وَبِقَتْلِهِمْ أَخَا رَبِيعَةَ الْعَبْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي عِصَابَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: لَا نَنْكُثُ الْبَيْعَةَ كَمَا نَكَثْتُمْ وَلَا نَغْدِرُ كَمَا غَدَرْتُمْ، فَوَثَبُوا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُمْ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، فَسَأَلْتُهُمْ أَنْ يَدْفَعُوا إِلَيَّ قَتَلَةَ إِخْوَانِي مِنْهُمْ لِنَقْتُلَنَّهُمْ بِهِمْ، ثُمَّ كِتَابُ اللهِ حَكَمَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَبَوْا عَلَيَّ وَقَاتَلُونِي وَفِي أَعْنَاقِهِمْ بَيْعَتِي وَدِمَاءُ نَحْوِ أَلْفٍ مِنْ شِيعَتِي، فَقَتَلْتُهُمْ بِذَلِكَ.

ثم خاطبه قائلًا: أَفِي شَكٍّ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ؟.

قال: «قَدْ كُنْتُ فِي شَكٍّ، فَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ عَرَفْتُ وَاسْتَبَانَ لِي خَطَأُ الْقَوْمِ، وَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُهْتَدِي الْمُصِيبُ»[1]. هكذا اختصر الإمام جرائم الناكثين.

ومرة أخرى حينما تواجه الفريقان بالبصرة، دعا الإمام عليه السلام طلحة والزبير وحاججهما، فقال: «لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْدَدْتُمَا سِلَاحًا وَخَيْلًا وَرِجَالًا، إِنْ كُنْتُمَا أَعْدَدْتُمَا عِنْدَ اللهِ عُذْرًا فَاتَّقِيَا اللهَ سُبْحَانَهُ وَلَا تَكُونَا ﴿كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ أَلَمْ أَكُنْ أَخَاكُمْ فِي دِينِكُمَا، تُحَرِّمَانِ دَمِي وَأُحَرِّمُ دِمَاءَكُمَا؟ فَهَلْ مِنْ حَدَثٍ مَا أَحَلَّ لَكُمَا دَمِي.

قال طلحة: ألَّبت الناس على عثمان.

فقرأ الإمام علي عليه السلام قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ

(١) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٥٢.

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾، ثم قال: **يا طَلْحَةُ! تَطْلُبُ بِدَمِ عُثْمانَ؟ فَلَعَنَ اللهُ قَتَلَةَ عُثْمانَ. يا طَلْحَةُ جِئْتَ بِعُرْسِ رَسُوْلِ اللهِ** صلى الله عليه وآله **تُقَاتِلُ بِها، وَخَبَّأْتَ عُرْسَكَ، أَمَا بَايَعْتَني؟!**».

ثم ذكَّر الإمام عليه السلام الزبير ببعض المواقف مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فاعتزل المعركة، ولما اعتزل الزبير الحرب وتوجَّه تلقاء المدينة، تبعه ابن جرموز فغدر به، وعاد بسيفه ولامة حربه إلى الإمام عليه السلام فأخذ الإمام يقلِّب السيف ويقول: «**سَيْفٌ طَالَمَا كَشَفَ بِهِ الكَرْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُوْلِ اللهِ** صلى الله عليه وآله»!.

فقال ابن جرموز: الجائزة يا أمير المؤمنين، فقال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**بَشِّرْ قَاتِلَ ابْنِ صَفِيَّةَ** (الزبير) **بِالنَّار**»!.

ثم خرج ابن جرموز على عليٍّ مع أهل النهروان فقتله معهم فيمن قتل.

ومن خلال أسطر التاريخ نكتشف أن الزبير وطلحة وعائشة كانوا جميعًا، مترددين في مسيرهم، وكم قرر الواحد منهم العودة. إلّا أن هناك يدًا خفية كانت تُثبِّط عزمهم وتعيدهم إلى قلب الفتنة من جديد.

فهذا طلحة يأتي إلى البصرة فيخطب الناس، ويدعوهم إلى خلع الإمام عليه السلام فيقولون له: «يا أبا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا»، فسكت ولا يجد جوابًا، ويُقدِّم الزبير للخطاب.

وهذه عائشة تمرُّ في مسيرها إلى البصرة بماء يسمَّى (الحوأب) فتنبح بها كلابه. قالت: أي ماء هذا؟ قيل هذا ماء حوأب. فإذا بها تصرخ بأعلى صوتها ثم تضرب عضد بعيرها فتُنيخَهُ ثم تقول: «أنا والله صاحبة كلاب الحوأب، رُدُّوني، رُدُّوني، رُدُّوني».

هكذا ظلت هنالك ومعها قومها يومًا وليلة، فخدعها عبد الله بن

الزبير، وجاؤوا لها بأربعين رجلًا وقيل بخمسين من الأعراب رَشَوْهُم فشهدوا أن هذا ليس بماء الحوأب»[1].

ويظهر عبد الله بن الزبير، في الصورة مرة أخرى حينما أراد والده الاعتزال، فأنحاه، وغرَّر به.. مثله مثل محمد بن طلحة.

كما أن مروان بن الحكم يظهر في الصورة في بعض الأحيان وهو يُحرِّض على الاستمرار في القتال.

هكذا نكتشف الأصابع التي كانت وراء الشخصيات الظاهرة في حرب الجمل، وهم تحالف بني أمية مع بعض الطامعين في السلطة، من غيرهم، تستَّروا بهم، وقالوا لأنفسهم: لو ظفروا كان لنا معهم مثل ما كان أيام الخليفة الثالث. أما إذا فشلوا، فقد ضربنا عصفورين بحجر واحد: فمن جهة تخلصنا من المهاجرين والأنصار الطامعين في الخلافة، حيث يُصَفِّي بعضهم بعضًا. ومن جهة ثانية سقطت هيبتهم بين المسلمين وظهروا في أعين الناس بمظهر الباحث عن مصالح شخصية.

وهكذا نستطيع أن نُفَسِّر وقوف الحزب الأموي إلى جانب طلحة والزبير وعائشة وهم من أشد المُحرِّضين ضد عثمان، وضد استئثار بني أمية بالسلطة والثروة في عهده.

وكان الناس يتساءلون: أنهم يريدون البصرة يطالبون أهلها بدم عثمان وقاتِلو عثمان معهم؟!. فقد روى الطبري بسنده عن المغيرة بن الأخنس قال: لقي سعيد بن العاص مروان بن الحكم وأصحابه بذات عِرْق، فقال: أين تذهبون وثأركم على أعجاز الإبل؟ (قال ابن الأثير

(١) شرح نهج البلاغة، ج٦، ص٢٢٤.

يعني عائشة وطلحة والزبير). أُقتلوهم ثم ارجعوا إلى منازلكم، لا تقتلوا أنفسكم. قالوا: بل نسير فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعًا.

ولعلهم أشاروا في نهاية حديثهم إلى أن هدفهم ضرب الناس ببعضهم للتخلص منهم جميعًا، وهذا يفسر أيضًا ما ذكره ابن الأثير من أن مروان بن الحكم هو الذي رمى سهمًا نحو طلحة فأصابه في رجله وقتله. لقد أبلغ أمير المؤمنين عليه السلام حينما بيَّن في أكثر من خطاب طبيعة هذه الحرب وأن وراءها قريشًا التي حاربها لأجل الرسالة وهم كافرون، ويحاربها اليوم للهدف ذاتها، وهم مفتونون.

يقول الشيخ المفيد: «لَمَّا تَوَجَّهَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى الْبَصْرَةِ نَزَلَ الرَّبَذَةَ فَلَقِيَهُ بِهَا آخِرُ الْحَاجِّ فَاجْتَمَعُوا لِيَسْمَعُوا مِنْ كَلَامِهِ وَهُوَ فِي خِبَائِهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ يَخْصِفُ نَعْلًا. فَقُلْتُ لَهُ: نَحْنُ إِلَى أَنْ تُصْلِحَ أَمْرَنَا أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى مَا تَصْنَعُ.

فَلَمْ يُكَلِّمْنِي حَتَّى فَرَغَ مِنْ نَعْلِهِ ثُمَّ ضَمَّهَا إِلَى صَاحِبَتِهَا.

وَقَالَ عليه السلام لِي: **قَوِّمْهُمَا.**

فَقُلْتُ: لَيْسَ لَهُمَا قِيمَةٌ.

قَالَ عليه السلام: **عَلَى ذَاكَ قُلْتُ كَسْرُ دِرْهَمٍ.**

قَالَ عليه السلام: **واللهِ لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَمْرِكُمْ هَذَا، إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا.**

قُلْتُ: إِنَّ الْحَاجَّ اجْتَمَعُوا لِيَسْمَعُوا مِنْ كَلَامِكَ، فَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ فَإِنْ كَانَ حَسَناً كَانَ مِنْكَ وَ إِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ كَانَ مِنِّي؟.

قَالَ عليه السلام: لَا أَنَا أَتَكَلَّمُ.

ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي وَكَانَ شَثْنَ الْكَفَّيْنِ فَآلَمَنِي. ثُمَّ قَامَ فَأَخَذْتُ بِثَوْبِهِ وَقُلْتُ: نَشَدْتُكَ اللهَ وَالرَّحِمَ. (وكأنه خاف أن يتكلم بما يُنفرّ الحاجّ).

قَالَ عليه السلام: لَا تَنْشُدْنِي.

ثُمَّ خَرَجَ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ. فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَلَيْسَ فِي الْعَرَبِ أَحَدٌ يَقْرَأُ كِتَاباً وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً فَسَاقَ النَّاسَ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ أَمَ وَاللهِ مَا زِلْتُ فِي سَاقَتِهَا مَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ وَلَا خُنْتُ حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا لِي وَلِقُرَيْشٍ أَمَ وَاللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ وَإِنَّ مَسِيرِي هَذَا عَنْ عَهْدٍ إِلَيَّ فِيهِ أَمَ وَاللهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ خَاصِرَتِهِ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّ اللهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا [فِي خَيْرِنَا].

وَأَنْشَدَ:

أَدَمْتَ لَعَمْرِي شُرْبَكَ الْمَحْضَ خَالِصًا ... وَأَكْلَكَ بِالزُّبْدِ الْمُقَشَّرَةِ التَّمْرَا

وَنَحْنُ وَهَبْنَاكَ الْعَلَاءَ وَلَمْ تَكُنْ ... عَلِيًّا وَحُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَالسُّمْرَا[1]

وهكذا نجد قريشًا -التي لا تزال أحلام السلطة على العرب تراودها- تتظاهر بالدين، وتقود حربًا ضده وقد استعادت قواها المنهارة، مُستغلةً ضعف الخليفة الثالث، وغرَّرت ببعض أصحاب الرسالة، وطمَّعتها في الخلافة، وذلك لعدم وضوح الرؤية عندهم.

فهذا طلحة الذي كان يطمع في الخلافة بعد الخليفة الثاني فَيُؤَلِّب

(١) بحار الأنوار، ج٣٢، ص١١٤.

أهل البصرة ضد الخليفة الثالث، ويُحرِّضهم على قتله، يأتي بنفسه إلى البصرة وينادي مناديه: «من كان فيهم أحد ممن غزا المدينة فليأتنا به» فجيء بهم فقتلوا ولم ينجُ منهم إلَّا قليل.

بالأمس كان يقودهم، واليوم ينقلب عليهم ويقتلهم. أوليس هذا غريبًا؟ بَلَى، ولكن طلحة كان بالأمس قائدًا، وأصبح اليوم رقمًا في حسابات بني أمية، وأضحى يُصفِّي حزبه بنفسه.

ولم يكن يشك أمير المؤمنين في وجوب قتالهم؛ لأنه كان يعرف طبيعتهم وأهدافهم الخبيثة، ولأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد أخبره بمسيره إليهم، وأنه سوف يقتل الناكثين. نعم، إنه لاقى صعوبة حقيقية في توعية الناس، ولولا أهل البصائر من المهاجرين والأنصار الذين نهضوا معه ضد الفئة الناكثة، وآزروه ونصروه بالقوة ذاتها التي آزروا بها رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لكانت قريش بمكائدها وقوّتها وعصبياتها تُشكِّل خطرًا حقيقيًّا ضد بقاء الإسلام.

ولقد استنهض الإمام عليه السلام جيش الكوفة الذين فتحوا بلاد فارس، ثم استقروا هناك يحمون ثغور الإسلام ويبعثون بالسرايا لفتح المزيد من البلاد، وإنما اختارهم لعلمه بوجود أهل البصائر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله والفقهاء والقُرَّاء بينهم. ولقد قال لهم حين التقى بهم في منطقة ذي قار: «**يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ! إِنَّكُمْ مِنْ أَكْرَمِ الْمُسْلِمِينَ وَأَقْصَدِهِمْ تَقْوِيمًا، وَأَعْدَلِهِمْ سُنَّةً، وَأَفْضَلِهِمْ سَهْمًا فِي الْإِسْلَامِ، وَأَجْوَدِهِمْ فِي الْعَرَبِ مَرْكَبًا وَنِصَابًا، أَنْتُمْ أَشَدُّ الْعَرَبِ وُدًّا لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وَأَهْلِ بَيْتِهِ عليهم السلام، وَإِنَّمَا جِئْتُكُمْ ثِقَةً -بَعْدَ اللهِ- بِكُمْ لِلَّذِي بَذَلْتُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عِنْدَ نَقْضِ طَلْحَةَ**

وَالزُّبَيْرِ وَخُلْفِهِمَا [خَلْعِهِمَا] طَاعَتِي وَإِقْبَالِهِمَا بِعَائِشَةَ لِلْفِتْنَةِ»[1].

ولقد استمرت عرب الكوفة، في ولائها لآل البيت ومحاربتها للخط الأموي حتى أزال الله دولة بني أمية في عهد العباسيين.

وحينما عَبَّأ الإمام عليه السلام جيشه، سار بهم إلى البصرة حتى وردها، وألقى خطابًا هامًّا بيَّن فيه مشروعية قتاله للناكثين، كما أوضح استراتيجية حربه هذه، فقال فيما قال: «عِبَادَ اللهِ! انْهَدُوا إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مُنْشَرِحَةً صُدُورُكُمْ بِقِتَالِهِمْ فَإِنَّهُمْ نَكَثُوا بَيْعَتِي، وَأَخْرَجُوا (ابْنَ حُنَيْفٍ) عَامِلِي بَعْدَ الضَّرْبِ الْمُبَرِّحِ وَالْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ، وَقَتَلُوا السَّبَابِجَةَ، وَمَثَّلُوا بِحَكِيمِ بْنِ جَبَلَةَ الْعَبْدِيِّ، وَقَتَلُوا رِجَالًا صَالِحِينَ، ثُمَّ تَتَبَّعُوا مِنْهُمْ مَنْ نَجَا يَأْخُذُونَهُمْ فِي كُلِّ حَائِطٍ وَتَحْتَ كُلِّ رَابِيَةٍ ثُمَّ يَأْتُونَ بِهِمْ فَيَضْرِبُونَ رِقَابَهُمْ صَبْرًا، مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ! انْهَدُوا إِلَيْهِمْ وَكُونُوا أَشِدَّاءَ عَلَيْهِمْ وَالْقَوْهُمْ صَابِرِينَ مُحْتَسِبِينَ، تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ مُنَازِلُوهُمْ وَمُقَاتِلُوهُمْ وَلَقَدْ وَطَّنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ وَالضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ وَمُبَارَزَةِ الْأَقْرَانِ، وَأَيُّ امْرِئٍ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًا فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ الَّذِي فُضِّلَ عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ»[2].

وكان الإمام عليه السلام يرفض معاملة الناكثين كما لو كانوا كفارًا، بل منع أصحابه من المبادرة بالقتال، ولم يأذن لهم به إلَّا بعد أن رمى أصحاب الجمل عسكره بالنبل رميًا شديدًا متتابعًا، فضج إليه أصحابه وقالوا: «عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين»، فلم يأذن لهم حتى بعث إلى عسكر البصرة رجلًا يحمل مصحفًا ويدعوهم إلى التحاكم إليه فقتلوه، فأصدر أمره بقتالهم.

(١) بحار الأنوار، ج٣٢، ص١١٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٢، ص١٧١.

وظل القتال ثلاثة أيام وأبدى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار البطولات التي اشتهروا بها أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد اجتمعوا في كتيبة واحدة سُمِّيَتْ بالكتيبة الخضراء، يقودهم سيدهم وأميرهم الإمام علي عليه السلام وقد هجمت في اليوم الأخير على الجمل الذي كان يُعتبر راية الناكثين، فعقروه. فلما سقط انهزم جميعهم، وانتهت المعركة بانتصار الإمام عليه السلام الذي نادى مناديه: أَلَّا تتبعوا مُدبرًا، ولا تُجهزوا على جريح، ولا تدخلوا الدور، ولا تَرْزَؤُوْا سلاحًا ولا ثيابًا ولا متاعًا، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن.

ثم مشى الإمام عليه السلام إلى عائشة وهي الباقية من قيادات المعارضة فاستقبلته صفية بنت الحارث وقد ثكلت بابنها، فقالت له: «يا علي!. يا قاتل الأحبة، يا مُفَرِّق الجمع، أيتم الله منك بنيك كما أيتمت ولد عبد الله منه. فمشى عنها ولم يرد عليها.

ثم دخل على عائشة فَسَلَّمَ عليها وقعد عندها، فأخذت تعتذر إليه وتقول: إني لم أفعل.

فلما خرج الإمام أعادت صفية قولها المنكر للإمام فكفَّ عنها، ولكنه قال -وهو يشير إلى بعض غرف الدار-: «**أَمَا لَهَمَمْتُ أَنْ أَفْتَحَ هَذَا البَابَ وَأَقْتُلَ مَنْ فِيْهِ، ثُمَّ هَذَا فَأَقْتُلَ مَنْ فِيْهِ، ثُمَّ هَذَا فَأَقْتُلَ مَنْ فِيْهِ**».

وكان أناس من مجرمي الحرب قد لجؤوا إلى عائشة، منهم مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير، فتغافل الإمام عليه السلام عنهم. فقال رجل من الأزد وهو يشير إلى صفية، والله لا تغلبنا هذه المرأة فغضب الإمام، وقال: «**صَه، لَا تَهْتِكَنَّ سِتْرًا، وَلَا تَدْخُلَنَّ دَارًا، وَلَا تُهَيِّجَنَّ امْرَأَةً بِأَذًى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ، وَسَفَّهْنَ أُمَرَاءَكُمْ وَصُلَحَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضِعَافٌ**.

وَلَقَدْ كُنَّا نُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ، وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ»[1].

وهكذا أدَّب الإمام أصحابه كيف يتعاملون مع أعدائهم بالرفق، بالرغم من أن أَنْهُرًا من الدم قد جرت بينهم.

ثم مضى الإمام إلى بيت المال وقَسَّم ما فيه على الجند بالسوية، فأعطى كل واحد خمسمائة، وأخذ أيضًا خمسمائة، وجهَّز عائشة بما تحتاج من مركب وزاد، وأرسلها إلى المدينة واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وأرسل معها أخاها محمدًا، وكان من أقرب أصحاب الإمام إليه.

واستخلف على البصرة ابن عباس وكتب إليه عهدًا قال فيه: «فَأَرْغِبْ رَاغِبَهُمْ بِالْعَدْلِ عَلَيْهِ وَالْإِنْصَافِ لَهُ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِم»[2].

وكتب إلى أمراء الجيش وهو يحدد معالم حكمه: «لَكُمْ عِنْدِي أَلَّا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ، وَلَا أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ، وَلَا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الحَقِّ سَوَاء»[3].

وعاد أدراجه إلى الكوفة ورايات النصر ترفرف عليه، وأبى أن يدخل قصر الإمارة، بل اختار بيت جعدة بن أبي هبيرة المخزومي، وكان ابن أخته أم هاني، وقال عن قصر الإمارة: «قَصْرُ الخَبَالِ لَا تَنْزِلُونِيهِ»[4].

(١) شرح نهج البلاغة، ج١٥، ص١٠٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٩٩.
(٣) بحار الأنوار، ج٣٣، ص٧٥.
(٤) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٥٥.

صفّين المنعطف الخطير:

وكانت لا تزال أمام الإمام عقبة كأداء لابد من تجاوزها حتى يُقيم العدالة ويُجري أحكام الله، فهذا معاوية بن أبي سفيان قائد الردة الجاهلية يُعَبِّئُ إليه كل الحاقدين على الإسلام، والموتورين، وبقايا العهد البائد، ويجمع إليهم الطامعين والأثرياء المترفين. وقد أركز نفسه في الشام منذ أن ولّاه عليها الخليفة الثاني بعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان، قائد جيوش الشام. وقد حاول الخليفة الثاني جلب رضا بني أمية -القوة السياسية والعسكرية الأكثر تماسكًا والأبعد عن الدين-، وقد زعم الحزب الأموي أن الشام قد أضحت إقطاعة خالصة لهم وإلى الأبد، فركز قواه العسكرية هناك، ولم يتصور أنَّ حاكمًا في البلاد يجرؤ على مطالبتهم بها، مادام الخليفة الثاني الأقوى بين الخلفاء غضَّ طرفه عمَّا يجري في الشام من تدعيم وجود الحزب المنافس للإسلام.

وكان يستثني الشام من قوانينه المشددة، كقانون: من أين لك هذا؛ الذي اخترعه لمقاومة الترف الذي هبط إليه الحكام الجُدُد، حتى أبو هريرة الرَّاوية المعروف، لم ينجُ من هذا القانون الصارم، ففقد الكثير مما جمعه في البحرين تبعًا له، في حين أن معاوية وحزبه الأموي، الذي كان يُرسي قواعد ملكه العضوض في الشام، ويجمع الثروات الطائلة، ويُغدق الهبات السخية على المنتفعين، كان يُستثنى منهم. وحينما قيل له في ذلك برَّر سكوته عنه بأنه يُمَثِّل عز الإسلام. ولا تظن أنه كان قادرًا على ضبط معاوية دون أن يدفع ثمنًا باهضًا. وفعلًا قد دفع حياته ثمنًا لبعض الضغط على الحزب الأموي في العاصمة وليس في الشام.

هكذا زعم معاوية أن بإمكانه أن يبقى حاكمًا على الشام في عهد

الإمام عليه السلام وما راعه إلّا حكم علي عليه السلام بفصله وتولية غيره!!.

وكان الإمام عليه السلام أعلم من غيره بواقع معاوية، وأن مسيره إليه لا يعني النصر عليه بالتأكيد، إذ إن جيش معاوية المتماسك ذي الولاء الجاهلي، يختلف عن جيشه الذي تتضارب أهواؤهم ولم يخلص ولاؤهم، بالرغم من وجود قلة مؤمنة فيهم.

وقد صرّح بذلك في أكثر من مناسبة، فقال لجيشه مرة:

«وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ، فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُم!»[1].

وقبل المسير إلى الشام قال أحد قادة جيش الإمام للثاني وهو يسمعهما: «إِنَّ يَوْمَنَا وَيَوْمَهُمْ لَيَوْمٌ عَصِيبٌ مَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا كُلُّ قَوِيِّ الْقَلْبِ صَادِقِ النِّيَّةِ رَابِطِ الْجَأْشِ.

وأضاف القائل، وهو زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بديل: «وَايْمُ اللهِ مَا أَظُنُّ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَبْقَى مِنَّا وَمِنْهُمْ إِلَّا رُذَالًا [رُذَالٌ].

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ بُدَيْلٍ: وَأَنَا وَاللهِ أَظُنُّ ذَلِكَ.

فنظر إليهما الإمام عليه السلام، وكأنه يؤيدهما، ولكنه يطالبهما بمراعاة ظروف الحرب، وقال: **«لِيَكُنْ هَذَا الْكَلَامُ مَخْزُونًا فِي صُدُورِكُمَا، لَا تُظْهِرَاهُ وَلَا يَسْمَعْهُ مِنْكُمْ سَامِعٌ. إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْقَتْلَ عَلَى قَوْمٍ وَالْمَوْتَ عَلَى آخَرِينَ وَكُلٌّ آتِيَةٌ مَنِيَّتُهُ كَمَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ، فَطُوبَى لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمَقْتُولِينَ فِي طَاعَتِهِ»**[2].

(١) بحار الأنوار، ج٣٤، ص١٣٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٤٠٣.

هكذا كان يجري الحوار بين قيادات الجيش، وهكذا كان الإمام عليه السلام يُحدِّد الهدف من القتال، وهو ابتغاء رضوان الله، ومقاومة المفسدين مهما كانت العواقب.

معاوية يعترف ويعاند:

ومعاوية -بدوره- كان يعترف بفضائل الإمام عليه السلام وأنه الأفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا أنه كان يتمسك بقميص عثمان، ويرى أنه أحق الناس به. وإذا كانت حجة معاوية واهية فإن دهاءه ومكره وأسباب القوة التي اجتمعت عنده كان يغنيه عن قوة الحُجَّة، وكان يعترف بذلك، مما يكشف عن طبيعة الصراع بينه وبين الإمام عليه السلام.

وقد حفظ التاريخ سجلًا كبيرًا من اعترافات معاوية بفضل الإمام عليه السلام، وبالذات في الرسائل الخاصة المتبادلة بينه وبين كبار الأصحاب، ولكن الرسالة الأبلغ كانت التي بعثها إلى محمد بن أبي بكر، وكان محمد من أشد المدافعين عن نهج الإمام علي عليه السلام.

لقد بعث معاوية إلى محمد بن أبي بكر كتابًا جاء فيه:

«مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الزَّارِي عَلَى أَبِيهِ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ مَا اللهُ أَهْلُهُ مِنْ سُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ وَمَا اصْطَفَى بِهِ رَسُولَهُ مَعَ كَلَامٍ أَلَّفْتَهُ وَوَضَعْتَهُ لِرَأْيِكَ فِيهِ تَضْعِيفٌ وَلِأَبِيكَ فِيهِ تَعْنِيفٌ وَذَكَرْتَ فَضْلَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدِيمَ سَوَابِقِهِ، وَقَرَابَتَهُ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَنُصْرَتَهُ لَهُ وَمُوَاسَاتَهُ إِيَّاهُ فِي كُلِّ خَوْفٍ وَهَوْلٍ فَكَانَ احْتِجَاجُكَ عَلَيَّ وَعَيْبُكَ لِي بِفَضْلِ غَيْرِكَ لَا بِفَضْلِكَ فَأَحْمَدُ رَبَّا صَرَفَ ذَلِكَ الْفَضْلَ عَنْكَ وَجَعَلَهُ لِغَيْرِكَ فَقَدْ كُنَّا وَأَبُوكَ مَعَنَا فِي حَيَاةِ نَبِيِّنَا صلى الله عليه وآله نَرَى حَقَّ ابْنِ

أَبِي طَالِبٍ لَازِماً لَنَا وَفَضْلَهُ مُبْرَزاً عَلَيْنَا حَتَّى اخْتَارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ فَأَتَمَّ لَهُ وَعْدَهُ وَأَظْهَرَ لَهُ دَعْوَتَهُ وَأَفْلَجَ لَهُ حُجَّتَهُ ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ ابْتَزَّهُ حَقَّهُ أَبُوكَ وَفَارُوقُهُ وَخَالَفَاهُ فِي أَمْرِهِ عَلَى ذَلِكَ اتَّفَقَا وَاتَّسَقَا ثُمَّ دَعَوَاهُ لِيُبَايِعَهُمَا وَأَبْطَأَ عَنْهُمَا وَتَلَكَّأَ عَلَيْهِمَا فَهَمَّا بِهِ الْهُمُومَ وَأَرَادَا بِهِ الْعَظِيمَ ثُمَّ إِنَّهُ بَايَعَ لَهُمَا وَسَلَّمَ فَلَمْ يُشْرِكَاهُ فِي أَمْرِهِمَا وَلَمْ يُطْلِعَاهُ عَلَى سِرِّهِمَا حَتَّى قُبِضَا عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ قَامَ ثَالِثُهُمَا مِنْ بَعْدِهِمَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَاقْتَدَى بِهَدْيِهِمَا..»[1].

وهكذا يعترف معاوية بفضل الإمام عليه وعلى كل أصحاب الرسول محاولًا إثارة عصبية محمد بن أبي بكر.

وفي حوار جرى بين معاوية وعمرو بن العاص الذي كان من قادة العرب في الجاهلية، وكان حليفًا تاريخيًّا لبني أمية، قال له معاوية:

«يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى جِهَادِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي عَصَى رَبَّهُ وَشَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَقَتَلَ الْخَلِيفَةَ وَأَظْهَرَ الْفِتْنَةَ وَفَرَّقَ الْجَمَاعَةَ وَقَطَعَ الرَّحِمَ.

قَالَ عَمْرٌو إِلَى مَنْ؟.

قَالَ: إِلَى جِهَادِ عَلِيٍّ.

فَقَالَ عَمْرٌو: وَاللهِ يَا مُعَاوِيَةُ مَا أَنْتَ وَعَلِيٌّ بِعِكْمَيْ[2] بَعِيرٍ مَا لَكَ هِجْرَتُهُ وَلَا سَابِقَتُهُ وَلَا صُحْبَتُهُ وَلَا فِقْهُهُ وَلَا عِلْمُهُ. وَوَاللهِ إِنَّ لَهُ مَعَ ذَلِكَ جِدّاً وَجُدُوداً وَحَظّاً وَحُظْوَةً وَبَلَاءً مِنَ اللهِ حَسَناً.

فَمَا تَجْعَلُ لِي إِنْ شَايَعْتُكَ عَلَى مَا تُرِيدُ.

قَالَ: حُكْمَكَ.

(١) بحار الأنوار، ج٣٣، ص٥٧٩.
(٢) العكم بالكسر: العدل، والعكمان: العدلان.

قَالَ: مِصْرَ طُعْمَةً.. فَتَلَكَّأَ عَلَيْهِ مُعَاوِيَةُ.

قَالَ لَهُ -مُعَاوِيَةُ- يَا أَبَا عَبْدِ الله إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَحَدَّثَ الْعَرَبُ أَنَّكَ إِنَّمَا دَخَلْتَ فِي هَذَا الْأَمْرِ لِغَرَضِ دُنْيَا.

قَالَ: دَعْنِي مِنْكَ»[1].

هكذا تم التحالف بين معاوية وبين قائد جاهلي جمع خبرة العرب في الحرب.

وبعد إجراء هذه الصفقة، التي تعكس طبيعة التجمع الأموي، غضب مروان -وهو أحد القيادات الأموية- وقال: «مَا بَالِي لَا أُشْتَرَى كَمَا اشْتُرِيَ عَمْرٌو.

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: إِنَّمَا نَبْتَاعُ الرِّجَالَ لَكَ»[2].

وكان يشير معاوية بذلك إلى أن مروان جزء من الحزب الأموي، وأنه إنما يسعى لإعادة أمجاده الجاهلية.

ومرة أخرى اعترف معاوية لقُرَّاء الشام، وهم الطائفة المؤمنة فيهم، اعترف بفضل الإمام عليه السلام؛ فحين قالوا له: «عَلَامَ تُقَاتِلُ عَلِيّاً عليه السلام وَلَيْسَ لَكَ مِثْلُ صُحْبَتِهِ وَلَا مِثْلُ هِجْرَتِهِ وَلَا قَرَابَتِهِ وَلَا سَابِقَتِهِ؟.

فَقَالَ: إِنِّي لَا أَدَّعِي أَنَّ لِي فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَ صُحْبَتِهِ وَلَا مِثْلَ هِجْرَتِهِ وَلَا قَرَابَتِهِ..

ولكنه تَشَبَّثَ عندهم بقميص عثمان، فقال لهم:

«وَلَكِنْ خَبِّرُونِي عَنْكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عُثْمَانَ قُتِلَ مَظْلُوماً.

(١) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٧٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٧٣.

قَالُوا: بَلَى!.

قَالَ: فَلْيَدْفَعْ إِلَيْنَا قَتَلَتَهُ لِنَقْتُلَهُمْ بِهِ وَ لَا قِتَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ»[1].

ولكن الإمام عليه السلام أجاب عن هذا الطلب الماكر، فقال: في رسالته إلى معاوية، نقلها المبرد في الكامل، هذا نصها:

من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى معاوية بن صخر ابن حرب.

أما بعد: «فَإِنَّهُ أَتَانِي كِتَابُكَ كِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ. قَدْ دَعَاهُ الهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ. زَعَمْتَ إِنَّمَا أَفْسَدَ عَلَيْكَ بَيْعَتِي خَطِيئَتِي فِي عُثْمَانَ، وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُ إِلَّا رَجُلًا مِنَ المُهَاجِرِينَ، أَوْرَدْتُ كَمَا أَوْرَدُوا، وَأَصْدَرْتُ كَمَا أَصْدَرُوا، وَمَا كَانَ اللهُ لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى الضَلَالِ وَلَا يَضْرِبَهُمْ بِالعَمَى.

فَمَا أَنْتَ وَعُثْمَانُ؟ إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وَبَنُو عُثْمَانَ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْكَ.

فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ أَقْوَى عَلَى دَم أَبِيهِمْ مِنْهُمْ، فَادْخُلْ فِي طَاعَتِي ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمِ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى المَحَجَّةِ»[2].

هكذا أتمَّ الإمام عليه السلام الحُجَّة على معاوية بما يلي:

أولًا: بأن شرعية عمله منبثقة من أنه إجماع المهاجرين الذين لا يجمعهم الله على الضلال.

ثانيًا: بأن بني عثمان هم أولياء الدم، وليس معاوية.

(١) بحار الأنوار، ج٣٣، ص١٠٨.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٧٩.

ثالثًا: بأن طريقة المطالبة بالدم، هي التحاكم إلى السلطة الشرعية وليست التمرُّد عليها باسم المطالبة بالدم.

إلَّا أن معاوية لم يكن يأبه بهذه الحجج، لأنه كان يسعى لإعادة أمجاد بني أمية الجاهلية. وقد اجتمع إليه الموتورون الحاقدون على الإسلام، من بقايا العهد البائد. وقد أقام لهم نظام مصالح، وحوَّل السلطة الى شركة مساهمة، بين الطلقاء والأدعياء والمترفين.

وهكذا جرى تبادل رسائل بين الإمام عليه السلام ومعاوية ردحًا من الزمن، وقد قام أهل الإصلاح بمحاولات شتى لردع معاوية عن سفك دماء المسلمين، فلم يفلحوا. وفي آخر رسالة بعثها الإمام عليه السلام قبل قراره بالمواجهة العسكرية كتب يقول (بعد حديث طويل):

«وَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله، وَحَقْنِ دِمَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ. فَإِنْ قَبِلْتُمْ أَصَبْتُمْ رُشْدَكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْفُرْقَةَ وَشَقَّ عَصَا هَذِهِ الْأُمَّةِ؛ لَنْ تَزْدَادُوا مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْدًا، وَالسَّلَام».

فكتب إليه معاوية:

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ قَيْسٍ عِتَابٌ غَيْرُ طَعْنِ الْكُلَى وَضَرْبِ الرِّقَابِ[1]

وكان الجواب بمثابة إعلان حالة الحرب. فكتب الإمام عليه السلام إلى عماله في الآفاق يُحَرِّضهم للقتال، كما عبَّأ قدرات جيش الكوفة العسكرية، بِخُطَبٍ حماسية لاهبة. وقد ساهم نجلاه الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام وأصحاب رسول الله، وبالذات البدريون وأصحاب بيعة الرضوان منهم؛ ساهموا -بما كان لديهم من مكانة مرموقة بين

(١) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٢٩ - ٣٣٠.

المسلمين- في تعبئة الطاقات الإيمانية في الأمة.

ولقد كان مع الإمام عليه السلام من أصحاب بدر سبعة وثمانون رجلًا، منهم سبعة عشر من المهاجرين، وسبعون من الأنصار. وشهد معه من الأنصار ممن بايع تحت الشجرة (بيعة الرضوان) تسعمائة، وكان مجمل عدد أصحاب رسول الله، في ركب الإمام عليه السلام ألفين وثمانمائة رجل[1].

وكان الإمام عليه السلام يُعطيهم مكانتهم المناسبة لهم، وهم -بدورهم- كانوا متفانين في الدفاع عن حق الإمام في الخلافة، لمعرفتهم بفضله، وعلمهم بواقع بني أمية، أعدائه وأعداء الإسلام.

وهكذا نجد الإمام عليه السلام لا يَبتُّ في أمر، إلَّا بعد أن يستشيرهم، ولم يعقد العزم على الحرب إلَّا بعد أن سألهم وقال وهو يخاطبهم: **«أَمَّا بَعْدُ! فَإِنَّكُمْ مَيَامِينُ الرَّأْيِ مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ [الْحُكْمِ] مُبَارِكُو الْأَمْرِ مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ. وَقَدْ عَزَمْنَا عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى عَدُوِّنَا وَ عَدُوِّكُمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْنَا بِرَأْيِكُمْ»**[2].

فبادروا بالتأييد، واستشهد كل منهم بحجة بالغة في شرعية قتال بني أمية.

فقال عمار بن ياسر: «يا أمير المؤمنين، إن استطعت ألَّا تُقِيمَ يومًا واحدًا فأشخص بنا قبل استعار نار الفجرة، واجتماع رأيهم على الصدود والفرقة، وادْعُهُم إلى رشدهم وحظهم. فإن قبلوا سعدوا، وإن أبوا إلَّا حربنا، فوالله! إن سفك دمائهم، والجِدَّ في جهادهم، لقربة عند الله، وهو كرامة منه»[3].

(١) أنظر: بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٧٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٣٧٩.
(٣) شرح نهج البلاغة، ج٣، ص١٧٢.

أما عدي بني حاتم، فقد أوضح خلفية بني أمية في القتال ضد الإمام عليه السلام وقال:

«إن القوم لو كانوا لله يريدون، أو لله يعملون ما خالفونا. ولكن القوم إنما يقاتلون فرارًا من الأسوة وحبًّا للأَثَرة، وضنًّا بسلطانهم، وكُرهًا لفراق دنياهم التي في أيديهم، وعلى إِحَنٍ في أنفسهم، وعداوة يجدونها في صدورهم، لوقائع أوقعتَها -يا أمير المؤمنين- بهم قديمة، قتلت فيها آباءهم وإخوانهم.

ثم التفت إلى الناس فقال: كيف يُبايع معاوية عليًّا، وقد قتل أخاه حنظلة، وخاله الوليد، وجده عتبة في موقف واحد»[1].

لقد لَخَّصَ هذا الصحابي الجليل طبيعة الموقف في كلمات. فإن الحزب الأموي يطلب الدنيا ويحاول الحفاظ على مكاسبه في السلطة، ويريد الانتقام من الإمام عليه السلام والتابعين له، لِمَا أنزلوا به هزائم نكراء في صدر الإسلام. وإنها بالتالي الرِّدَّة الجاهلية بكل معنى الكلمة.

هكذا نجد أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله يجتهدون في الدفاع عن الخلافة الراشدة. وقد استشهد الإمام عليه السلام في أكثر من مناسبة بموقف الأصحاب منه ومن بني أمية.

وفي المعركة شَكَّل الإمام كتيبة خاصة بهم، يقودها هو شخصيًّا، سميت بالكتيبة الخضراء.

وقد أبلت هذه الكتيبة في الدفاع عن الإسلام وحرماته بلاءً حسنًا.

والواقع أن حضور هذه الكتيبة في معركة صفّين كان دليلًا على عافية الأمة ويقظة ضميرها، فبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله بربع قرنٍ حَفَلَ

(١) شرح نهج البلاغة، ج٣، ص١٧٩.

بالأحداث السياسية العظيمة، ولا تزال الفئة التي نصرت الرسالة وتعرَّضت للآلام وقدَّمت التضحيات، لا تزال تخوض غمار معركة الحق ضد الباطل، دون أن تميل مع رياح الشهوات وعواصف السياسة.

ومن المعروف أن كثيرًا من هؤلاء الصحابة الكرام كان قد تقدم بهم العمر، حتى بلغوا من الكبر عتيًّا، ولكنهم لا يزالون في مقدمة المجاهدين، وفيهم عمار بن ياسر، الذي فقد والديه شهيدين في صدر الإسلام، وتعرَّض للضرب والإهانة منذ الأيام الأولى للبعثة، وهو اليوم يُناهز التسعين من عمره ويَشدُّ على وسطه حزامًا تنتصب قامته به، ثم يدخل المعركة، وهو ينادي: الرواح الرواح إلى الجنة!. هكذا يصنع الإيمان بالقلوب الطاهرة والنفوس الزكية.

هكذا وقعت الواقعة:

في البلاد الإسلامية جيشان جيش الشام وجيش الكوفة، وها هما يلتقيان لا ليحاربا عدوًّا مشتركًا، وإنما ليتحاربا. فكم كانت الصدمة عنيفة في نفوس المسلمين، وكم مشى رجال طيبون، وكم سعى الإمام عليه السلام لردع معاوية عن هذا الغي والفساد العريض.

فمنذ أن التقى الجيشان بعث الإمام كبار قادته، إلى معاوية وقال لهم: «**ائْتُوْا هَذَا الرَّجُلَ فَادْعُوْهُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى الطَّاعَةِ وَالجَمَاعَةِ**»[1].

ولكنه يرفض إلَّا المطالبة بدم عثمان -كما يزعم-، ويحاول أن يستخدم الوسائل الحربية التي كانت شائعة في الجاهلية. فلقد كتب في سهم: إن معاوية يريد أن يُفَجِّر عليكم الفرات، فيغرقكم فخذوا

(١) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٤٤٨.

حذركم. ورمي به إلى معسكر الإسلام فوقع السهم بيد رجل فينقل الخبر إلى الآخرين، وكالعادة تنتشر الشائعة في المعسكرات سريعًا، ويرتحل الجيش عن الشريعة ويهجم معاوية عليها. ولكن أصحاب الإمام لا يلبثون أن يُزحزحوه عنها.

وعندما منع معاوية الماء -بعد سيطرته على الشريعة- عن أصحاب الإمام، وأمر الإمام بكسر الحصار عنها، وقال كلمته المشهورة:

«فَالمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ، وَالحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِين»[1].

وزحف أصحاب الإمام عليه السلام نحو الماء وهزموا أعداءَهم، واستولوا عليه. وزعم البعض أن الإمام سوف يُقابل أعداءه بالمثل؛ لأن الحرمات قصاص.

ولكنه رفض ذلك بقوة، وأرسل إلى معاوية رسولًا وأخبره بأن السبيل إلى الشريعة سالك، وبإمكان جيشه الورود إليها متى ما شاؤوا.

صور من معارك صفّين:

وبدأت المعارك وكانت في صورة مناوشات على الأطراف، وكانت القوى متكافئة في الأغلب. بيد أن دوافع الحرب كانت مختلفة، فبينما نجد العصبية الجاهلية توقد نار الحرب عند جيش الشام، نجد الروح الإيمانية في أصحاب علي عليه السلام تحثُّهم على الجهاد والشهادة.

فهذا قائد أموي كان يعدُّه معاويةُ وَلَدَهُ، واسمه عبد الرحمن بن خالد، يُبارز قيادة جيش الإمام المتمثلة في تلك المعركة بعَدِيّ بن حاتم

(١) نهج البلاغة، ومن خطبة له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه، رقم ٥١.

ويرتجز قائلًا:

قل لعدي ذهب الوعيدُ أنا ابن سيف الله لا مزيدُ
وخالد يزينه الوليدُ فما لنا ولا لهم مَحيدْ
عن يومنا ويومكم فعودوا

إنك تراه كيف يفتخر بنسبه حتى تعود إلى أذهاننا ذكريات الجاهلية حيث كان الشخص يفتخر بآبائه وعشيرته.

ولكن عدي بن حاتم -بالرغم من مفاخره العظيمة- يذكر في رجزه الحربي دافعه الإيماني ويقول:

أرجو إلهي وأخاف ذنبي وليس شيءٌ مثل عفوِ ربِّي

وقد أفصح عبيد الله بن عمر، وكان في صف معاوية عن خلفيات الحرب، وذلك حينما الْتَقى بالإمام الحسن المجتبى في أرض المعركة فقال:

إن أباك قد وتر قريشًا أولًا وآخرًا، وقد شَنَؤُوْهُ. فهل لك أن تخلعه ونُوَلِّيَكَ هذا الأمر؟.

وهكذا كشف عن الأحقاد الجاهلية التي طفحت بها قلوب قريش وهم قيادات ذلك الجيش.

ولكن الإمام الحسن عليه السلام رده بقوة وقال: **كَلَّا**.

وأضاف: **لَكَأَنِّيْ أَنْظُرُ إِلَيْكَ مَقْتُوْلًا فِيْ يَوْمِكَ أَوْ غَدِكَ. أَمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ زَيَّنَ لَكَ وَخَدَعَكَ حَتَّى أَخْرَجَكَ مُخَلَّقًا بِالْخَلُوْقِ، تَرَى نِسَاءُ أَهْلِ الشَّامِ مَوْقِفَكَ، وَسَيَصْرَعُكَ اللهُ، وَيَبْطَحُكَ لِوَجْهِكَ قَتِيْلًا»**[1].

(١) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٤٤٨.

هكذا قاتل عمار بن ياسر:

قام عمار بن ياسر فخطب في القوم يُحَرِّضُهم على معاوية، ويكشف حقيقة المعركة، وخلفياتها فقال:

«امْضُوا عباد الله، إلى قوم يطلبون -فيما يزعمون- بدم عثمان، والله ما أظنهم يطلبون دمه، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبُّوها واستمرؤوها، وعلموا لو أن الحق لزمهم لحَالَ بينهم وبين ما يرغبون فيه منها. ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون ها الطاعة والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قُتِلَ إمامنا مظلومًا، ليكونوا بذلك جبابرة وملوكًا، وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون. ولولا هي، ما بايعهم من الناس رجلان.

ثم التقى بعمرو بن العاص فقال له: يا عمرو بعتَ دينك بمصر؟. تبًّا لك، وطالما بغيتَ الإسلام عِوَجًا.

ثم حمل على القوم، وهو يرتجز بأبيات تفيض إيمانًا ويقينًا، وتعكس شخصية عمار الجهادية، وهو يومئذ يناهز التسعين من عمره:

صدق الله وهو للصدق أهلٌ ... وتعالى ربِّي وكان جليلا
ربِّ عجّلْ شهادة لي بقتل ... في الذي قد أحُب قتلًا جميلا
مقبلًا غير مدبرٍ، إن للقتـ ... ـلِ على كل مِيتة تفضيلا
إنهم عند ربهم في جنان ... يشربون الرحيق والسلسبيلا
من شراب الأبرار، خالطه المس ... ك وكأسًا مزاجها زنجبيلا

ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك أن أقذف بنفسي في هذا البحر لَفعلتُ.

اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن أضع ظُبة سيفي في بطني ثم

أنحني عليها حتى يخرج من ظهري لَفعلتُ، ولو أعلم اليوم عملًا هو أرْضَى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين لَفعلتُه»[1].

وبهذه الروح الإيمانية المتسامية، حارب الصفوة من أصحاب الرسول ﷺ معاوية والمنافقين معه. لقد كانت الشهادة غاية مُنَاهم، وكانوا على يقين أنهم على حق، وأن عدوهم طالب ملك وباغي دنيا.

وهكذا تقدَّم عمار بين الصَّفَّيْنِ ونادى: «أيها الناس، الرّواحَ إلى الجنة، فلما بصر راية عمرو بن العاص، قال: والله إن هذه الراية قد قاتلتها ثلاث مرات، وما هذه بأرشدهم. ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

ثم استسقى -وقد اشتد ظمأه- فأتته امرأة بضَيَاح من اللبن، فقال حين شرب: الجنة تحت الأسنة..

اليوم ألقى الأحبّة محمدًا وحزبه

والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنَّا على الحق وهم على باطل»[2].

هكذا تقدم الشيخ العظيم الذي التحق بمسيرة الرسالة منذ شبابه، ولم يتخلَّف عن أية مهمة أُوكِلَتْ إليه، ودفعه النبي ﷺ إلى مستوى الصِّدِّيقين، ولم تأخذه في الله لومة لائم؛ تقدم إلى الشهادة ببصيرة نافذة، وخُطى ثابتة، وهو يحمل معه صحيفته المضيئة، ذات التسعين صفحة مشرقة، فلما توسط المعركة حمل عليه اثنان من المجرمين (أبو العادية الفزاري، وابن جون)

(١) شرح نهج البلاغة، ج٥، ص٢٥٢.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج٨، ص٢٤.

فقتلاه، فألزم الله بقتله الحجة على أهل الشام، إذ قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يومًا: «آخِرُ شَرَابِكَ مِنَ الدُّنْيَا ضَيَاحٌ مِنْ لَبَنٍ، وَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»[1].

فلما انتشر خبر مقتله في معسكر أهل الشام، وكاد يُؤثِّر في معنوياتهم، قال معاوية: إنَّ عليًّا هو الذي قتله؛ لأنه هو الذي أخرجه لقتالنا. ولقد كان معاوية قد استخفَّ قومه فأطاعوه، وهكذا كان يتعامل مع سائر النصوص الدينية.

الدفاع بكل وسيلة:

لقد كانت معارك صفّين غريبة، فمعاوية كان قد أعد جيشه إعدادًا جيدًا، وكانت إلى جانبه القيادات العربية العريقة، والقبائل التي دخلت الإسلام بعد الفتح حاملة معها رواسبها وتقاليدها وطاعتها لشيوخها. وقد استفاد من خبرة الروم بحكم احتكاكه بحضارتهم في الشام، وجهّز جنوده بأفضل الأسلحة، ومنّاهم بالأموال التي تكدّست عند الحزب الأموي، منذ أيام الجاهلية وتضاعفت على عهد عثمان.

وفي الجانب الآخر كانت التعبئة الروحية عند أنصار الإمام عليه السلام في القمة، فها هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وعددهم ألف وسبعمائة، بينهم كبار المهاجرين وبقية البدريين، والمشتركين في بيعة الرضوان، يتبعهم جيش من قُرّاء القرآن والعُبّاد وأصحاب البرانس، وما نَما وتبارك من الجيل القرآني، ومن ورائهم القبائل العربية التي اتّبعت هذا الخط بدافع أو بآخر.

وحين التقى الفريقان، كانت الكفّة متعادلة تقريبًا، ولذلك قلّما كانت المعارك حاسمة. وأنقل إليكم صورة معبرة واحدة من هذا التعادل:

(١) بحار الأنوار، ج٩٧، ص٣٦٦.

يقول زياد بن نصر الذي كان في مقدمة جيش الإمام عليه السلام:

«شَهِدْتُ مَعَ عَلِيٍّ عليه السلام بِصِفِّينَ، فَاقْتَتَلْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ، حَتَّى تَكَسَّرَتِ الرِّمَاحُ، وَنَفِدَتِ السِّهَامُ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى الْمُسَايَفَةِ، فَاجْتَلَدْنَا بِهَا إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ، حَتَّى صِرْنَا نَحْنُ وَأَهْلُ الشَّامِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يُعَانِقُ بَعْضُنَا بَعْضًا. وَلَقَدْ قَاتَلْنَا يَوْمَئِذٍ بِجَمِيعِ السِّلَاحِ فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ السِّلَاحِ إِلَّا قَاتَلْتُ بِهِ، حَتَّى تَحَاثَيْنَا بِالتُّرَابِ وَتَكَادَمْنَا، حَتَّى صِرْنَا قِيَامًا يَنْظُرُ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ مَا يَسْتَطِيعُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ يَنْهَضُ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَا يُقَاتِلُ.

فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ، مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، انْحَازَ مُعَاوِيَةُ وَخَيْلُهُ مِنَ الصَّفِّ، وَغَلَبَ عَلِيٌّ عليه السلام عَلَى الْقَتْلَى، وَأَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَأَصْحَابِهِ فَدَفَنَهُمْ، وَقَدْ قُتِلَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ أَكْثَرُ»[1].

الإمام عليه السلام يقود المعارك:

في صفّين تجلّى علي بشجاعته وبطولاته وصدق مواقفه، لقد ذرّف الآن على الستين، ولقد تواردت عليه مصائب لو نزل بعضها على الجبال لانهدّت، ولكنه سيد المتقين الذي يتعالى على قمم الجبال.

مواقفه في صفّين تعكس جانبًا من تلك الروح العظيمة، وذلك الإيمان الصادق.

لقد أرسل الإمام عليه السلام إلى معاوية: «**أَنِ ابْرُزْ لِي وَاعْفُ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، فَأَيُّنَا قَتَلَ صَاحِبَهُ كَانَ الْأَمْرُ لَه**»[2].

(١) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٥٠٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٥٠٤

فانظروا إلى هذه البطولة. إنه يستعد لافتداء المسلمين بنفسه. ولكن معاوية قال في الجواب بالحرف الواحد: «إِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ أُبَارِزَ الْأَهْوَجَ الشُّجَاعَ»[1].

ثم نظر إلى عمرو بن العاص الذي شجَّعه على قبول تحدي الإمام عليه السلام قائلًا: «لقد انصفك الرجل.

نظر إليه وقال: لعلك طمعتَ فيها يا عمرو!».

أما عمرو بن العاص الذي كان يُعتبر من دهاة العرب، ومن القيادات العربية العريقة في الجاهلية، فقد أراد أن يأخذ الإمام عليه السلام على غِرَّة، فحمل عليه الإمام، فلما كاد يُخالطه رمى بنفسه عن فرسه ورفع ثوبه وشغر برجله فبدت عورته، فصرف عليٌّ عليه السلام وجهه عنه، وقام معفرًا بالتراب هاربًا على رجليه معتصمًا بصفوفه، فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين.. قال: **وَهَلْ تَدْرُوْنَ مَنْ هُوَ؟**.

قالوا: لا، قال عليه السلام: «**إِنَّه عَمْرُو بْنُ العَاصِ، تَلَقَانِيْ بِعَوْرَتِهِ فَصَرَفْتُ وَجْهِيْ عَنْهُ**»[2].

وفي موقعة أخرى برز عروة بن داود الدمشقي إلى الإمام عليه السلام فضربه ضربة عَلَوِيَّة فَقَدَّه نصفين وقع نصفه يمنة ونصفه يسرة، فارتجَّ العسكر، وخاطبه الإمام عليه السلام بعد مقتله قائلًا: «**يَا عُرْوَةُ اذْهَبْ فَأَخْبِرْ قَوْمَكَ. أَمَا وَالَّذِيْ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالحَقِّ لَقَدْ عَايَنْتَ النَّارَ وَأَصْبَحْتَ مِنَ النَّادِمِيْنَ**»[3].

(١) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٥٠٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٥١٢.
(٣) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٥٢٠.

فبرز إليه ابن عمه فألحقه الإمام عليه السلام بصاحبه. ومعاوية واقف على تل يُبصر ويُشاهد، فقال: تبًّا لهذه الرجال وقبحًا. أَمَا فيهم من يقتل هذا مبارزةً أو غيلةً أو في اختلاط الفيلق وثوران النَّقْع.

فقال الوليد بن عقبة: «اُبْرُزْ إليه أنت، فإنَّك أولى الناس بمبارزته. فقال: والله لقد دعاني إلى البراز حتى استحيت من قريش. والله إني لا أبرز إليه»[1].

وذات مرة قال معاوية لجلسائه وهو يذكر نُكُوْلَه عن مبارزة علي وكشف صاحبه عمرو عن سوأته للفرار عنه: «إن الجبن والفرار من عليٍّ لا عار على أحد فيهما»[2].

هكذا تجلَّى الإمام عليه السلام ببطولاته -التي صنعها في حروب الإسلام الأولى ضد قريش وبني أمية بالذات-، تجلَّى في الوقت الذي كان أميرًا للمؤمنين، والقائد العام للجيش الإسلامي.

وإننا لو اطَّلعنا على ساحة المعركة في صِفّين، ورأينا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يلتفُّون حول قائدهم الإمام علي عليه السلام، وقد تراوحت أعمارهم بين الخمسين والتسعين عامًا، وهم الرُّواد الأوائل، وطلائع الرسالة، وحملة راية التوحيد في الأرض، وهم قادة الأمة بلا منازع، لاستبدَّ بنا العجب!. سبحان الله، ما أروع هذا المشهد!. ما الذي جعل هؤلاء الشيوخ يُشكِّلون كتيبة خاصة بهم باسم الكتيبة الخضراء؟ وما الذي جعلهم يرخصون أنفسهم؟ وما الذي أخرجهم إلى الحرب وهم كرام سواء خاضوا حربًا أم استقروا في بيوتهم؟!.

(١) شرح نهج البلاغة، ج٨، ص٩٤.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج٦، ص٣١٧.

إنه الإسلام، وهم الجيل القرآني، والقرآن يصوغ شخصية الإنسان بحيث تتحدى حاجز السنين، وتتعالى على الماديات. لقد أحس القوم بالردة الجاهلية التي يقودها بنو أمية، فلم يألوا جهدًا في مقاومتها، وأقروا عين حبيبهم ومربيهم وقائدهم، النبي محمد صلى الله عليه وآله بفعلهم.

ما فاته بالشجاعة أخذه بالمكر:

كانت التعبئة الروحية، أعظم قوة اعتمد عليها جيش الرسالة، وبالرغم من أنها صنعت بطولات نادرة، إلّا أن حجمها كان دون مستوى النصر النهائي. فلما استمرت الحرب طويلًا بدأ المتخاذلون يتنامون في صفوف الجيش الرسالي. أمّا معاوية الذي لم يتورع عن التوسل بأية طريقة مهينة لنيل النصر، فقد عرف كيف يستفيد من الصعوبات التي ازدادت في صفوف جيش الإمام. لم تكن أكثرية الجيش عند الإمام في مستوى فهم الصراع الرسالي - الجاهلي.

وإن الذي يطّلع على تاريخ صفّين يتمزّق ألمًا، كيف كانت حِيَل معاوية تنطلي عليهم، وكيف كان الإمام يستخدم براعته وبلاغته، وقوة شخصيته، وحضوره الدائم عند كل حادثة، بل وجولاته الحربية المباشرة، لكي يُفشل خطط معاوية الماكرة.

لقد سأله -ذات مرة- بعض أصحابه: كيف لم ننتصر حتى الآن على معاوية؟. فأمره أن يدنو منه ثم ناجاه: **إِنَّ قَوْمَ مُعَاوِيَةَ يُطِيْعُوْنَهُ، وَلَا يُطِيْعُنِيْ قَوْمِيْ**[1].

وكم كان يؤلم ذلك القلب الكريم الذي غمره حب الرسالة،

---

(١) أنظر: شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٧٠.

جهل المسلمين بها، وتفرُّقهم عن الحق.

وكان معاوية يعرف ذلك ولا يكفُّ عن محاولاته للتأثير في معنويات جيش الإمام، وبثِّ الفرقة فيهم. وحتى لو فشلت سائر حيله فإن نجاح واحدة منها كفيلة بإنقاذه من ورطته وإعطائه فرصة العودة إلى مؤامراته الخبيثة!

وهكذا خطَّط هذه المرة بطلب الصلح، والتحاكم إلى القرآن الكريم.

في بداية الحرب ندب الإمام عليه السلام واحدًا من فتيان الأنصار ليحمل القرآن إلى معسكر معاوية، ويطالبهم بالتحاكم إليه، وقد بشَّره بالشهادة في هذا السبيل، وضَمِنَ له الجنة، فأسرع الفتى إلى القوم، وهو يحمل كتاب الله على يديه، ويطالبهم بالنزول على حكمه، ولكنهم أمطروه بوابل من السهام فسقط شهيدًا، وسقط إلى جنبه كتاب الله العزيز.

ولكن معاوية يجد نفسه مهزومًا لا محالة، وقد بدأ جيشه يُوَلِّي الدُّبُر أمام صولات جيش الإمام، وبالذات أمام هجمات القائد المغوار مالك الأشتر، الذي أخذ يزيد من ضغطه على جيش الشام.

واستشار معاوية عَمْرًا (ذلك الداهية المعروف) فأشار عليه بحمل المصاحف، فإذا بهم يحملون على رماحهم ما يشبه المصاحف ويُطالبون بحكم القرآن.

ولعل جواسيس معاوية في جيش الإمام كانوا وزعّوا الأماني على أصحاب القلوب المريضة فوعدوا قيادات الجيش الكوفي، الذين عصرهم الإمام بعدالته ومساواته عصرًا، بالمزيد من الأموال والمناصب.

فإذا بالحيلة تنطلي على الغوغاء، ولا تقف دونها القيادات العميلة، ولم تنفع شيئًا محاولات الإمام عليه السلام والقيادات الرسالية الراشدة في توعية الغوغاء أو ردع العملاء.

فلنستمع إلى التاريخ وهو يروي قصة المؤامرة الكبرى، لعلنا ننتفع بها عبرة لما يُشبهها اليوم.

روى نصر بن مزاحم أن عليًّا عليه السلام غلس بالناس في صلاة الغداة يوم الثلاثاء عاشر ربيع الأول سنة (٣٧) -وقيل عاشر صفر-، ثم زحف إلى أهل الشام بعسكر القرآن، والناس على راياتهم، وزحف إليهم أهل الشام، وقد كانت الحرب أكلت الفريقين، ولكنها في أهل الشام أشد نِكايةً وأعظم وقعًا.

ثم تمضي الرواية تنقل كيف الْتَقى الجمعان في واقعة عظيمة كادت تُفني الطرفين، مما سُمِّي ليلة الهرير، حيث استمر القتال من صلاة الغداة إلى نصف الليل، ومرَّت مواقيت أربع صلوات لم يسجدوا لله فيهن سجدة، ولم يُصَلُّوا لله صلاة إلَّا التكبير، ثم استمر القتال من نصف الليل إلى ارتفاع الضحى، وافترقوا على سبعين ألف قتيل، في ذلك اليوم وتلك الليلة[1].

والإمام علي عليه السلام في القلب، بينما ابن عباس في الميسرة، والأشتر في الميمنة. والإمام يُحَرِّض القوم، ويدعو الرب، ويُجالِد بالسيف حتى يقول الراوي: «لا والله الذي بعث محمدًا بالحق نبيًّا، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض، أصاب بيده في يوم واحد ما

(١) أنظر: شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٠٦ - ٢٠٧.

أصاب (أي الإمام عليه السلام) يخرج بسيفه منحنيًا فيقول: **مَعْذِرَةً إِلَى اللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْ هَذَا، لَقَدْ هَمَمْتُ مَرَّاتٍ أَنْ أَفْلِقَهُ وَلَكِنْ يَحْجُزُنِي عَنْهُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ كَثِيرًا: لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ، وَأَنَا أُقَاتِلُ بِهِ دُونَهُ صلى الله عليه وآله**»[1].

قال (الراوي) فكنا نأخذه فنقوّمه، ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف، فلا والله ما ليث بأشد نكاية منه في عدوه.

وخطب الإمام في الناس وقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ بَلَغَ بِكُمُ الْأَمْرُ وَبِعَدُوِّكُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا آخِرُ نَفَسٍ، وَإِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَقْبَلَتِ اعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا، وَقَدْ صَبَرَ لَكُمُ الْقَوْمُ عَلَى غَيْرِ دِينٍ حَتَّى بَلَغَنَا مِنْهُمْ مَا بَلَغَنَا، وَأَنَا غَادٍ عَلَيْهِمْ بِالْغَدَاةِ أُحَاكِمُهُمْ إِلَى اللهِ**»[2].

فبلغ ذلك معاوية فاستشار عمرو بن العاص، فقال له فيما قال: ألقِ إليهم أمرًا إن قبلوه اختلفوا، وإن ردُّوه اختلفوا. ادْعُهُم إلى كتاب الله.

فأصبح أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح.

وبالرغم من أن القيادات الرسالية قد حذَّروا من مكر معاوية، وقال عَدِيّ بن حاتم للإمام: «وقد جزع القوم، وليس بعد الجزع إلَّا ما تحب، فناجز القوم»، وهكذا قال مالك الأشتر وعمرو بن الحمق وآخرون.

إلَّا أن أكثرية الناس كانوا قد ملُّوا الحرب فقالوا: أكلتنا الحرب وقتلت الرجال، فقال الإمام عليه السلام: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ حَتَّى نَهَكَتْكُمُ الْحَرْبُ وَقَدْ وَاللهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ. لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُوراً وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً فَأَصْبَحْتُ**

(١) أنظر: شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢١١.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٠٩.

الْيَوْمَ مَنْهِيًّا وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ»[1].

وبعد أن رضيا بالتحاكم، وتقرر أن يختار كل فريق شخصًا يتفاوضان في شؤون الخلافة، واختار معاوية عمرو بن العاص، ذلك الداهية المعروف والطامع في ولاية مصر، بعدئذ وقع الاختلاف -مرة أخرى- في أصحاب الإمام.

فبينما اختار لهم الإمام عبد الله بن العباس، وقال: «.. **فَإِنَّ عَمْرواً لَا يَعْقِدُ عُقْدَةً إِلَّا حَلَّهَا عَبْدُ اللهِ، وَلَا يَحُلُّ عُقْدَةً إِلَّا عَقَدَهَا.**

فَقَالَ الْأَشْعَثُ: لَا وَاللهِ لَا يَحْكُمُ فِينَا مُضَرِيَّانِ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[2].

فاختار لهم مالك الأشتر، فرفضوا، وقالوا له: «سعَّر الأرض علينا، إلا الأشتر...»[3]. فاصروا على اختيار أبي موسى الأشعري، والذي اعتزل الإمام وخذَّل الناس عنه.

وفي الواقع، إن أصحاب الإمام عليه السلام كانوا طوائف شتى، المخلصون، والمنافقون، والمتطرفون، الذين اشتركوا في القيام ضد عثمان، وكانوا يظنون أنهم أحق بالأمر من علي وأصحابه!! وهم الذين انتهى بهم المطاف إلى التمرد على الإمام وسُمُّوا بالخوارج.

قصة الخوارج:

بعد أن كتب الطرفان وثيقة الصلح، ووقَّع عليها كل من الإمام ومعاوية، دار بها أبو موسى الأشعري على عسكر الإمام، فلما مرّ برايات

(١) نهج البلاغة، من كلام له عليه السلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٢، ص٥٤٠.
(٣) شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٢٧.

بني راسب قالوا: لا نرضى، لا حكم إلَّا لله، فلما أخبر الإمام قال له: هل هي غير راية أو رايتين ونبذ من الناس؟ قال: لا.

صحيح أن أهل الكوفة كانوا قد تعبوا من الحرب، إلَّا أن أوارها كان لا يزال يَتَّقِدُ في أفئدة الكثيرين. فلما بادر المتطرفون بإعلان التمرد، انتشرت دعوتهم كالنار في الهشيم. فما راع الإمام إلَّا نداء الناس من كل جانب: لا حُكم إلَّا لله، لا حكم إلَّا لله، لا حكم إلَّا لله، يا علي لا حُكم لك، لا نرضى بأن يحكم الرجال في دين الله، إن الله قد أمضى حكمه في معاوية وأصحابه أن يُقتلوا أو يدخلوا في حكمنا عليهم.

وكلما نصحهم الإمام وذكَّرهم بأن العهد لا ينقض وقد جعلوا الله عليه وكيلًا، أبوا إلَّا الحرب وقالوا للإمام بالحرف الواحد: تُبْ إلى الله كما تُبْنَا، وإلَّا برئنا منك.

وعزَّز موقف الخوارج نتائج الحكمين حيث غرّر عمرو بن العاص بصاحبه أبي موسى الأشعري، فاتَّفق معه على أن يخلعا كلًّا من الإمام ومعاوية، وقدَّم عمرو صاحبه فلما فعل أبو موسى قام عمرو وقال: إن هذا خلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبتُ صاحبي معاوية. وهكذا دعمت عاقبة التحكيم جانب المتطرفين فاجتمعوا في منطقة (الحروراء) وبعث إليهم الإمام ابن عباس فناقشهم بالقرآن فلم يستجيبوا له، فذهب إليهم بنفسه وسأل عن الرجل المقدَّم فيهم فقيل: يزيد بن قيس الأرحبي، فذهب إلى خبائه وصلَّى ركعتين، ثم قام وقال:

«هَذَا مَقَامُ مَنْ فُلِجَ فِيهِ فُلِجَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثم التفت إلى الناس وقال: أُنْشِدُكُمُ اللهَ، أَعَلِمْتُمْ أَحَدًا كَانَ أَكْرَهُ لِلْحُكُومَةِ مِنِّي؟».

قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا. قَالَ: أَتَعْلَمُونَ بَأَنَّكُمْ أَكْرَهْتُمُونِي حَتَّى قَبِلْتُهَا؟.

قَالُوْا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: **فَعَلَامَ خَالَفْتُمُوْنِيْ وَنَابَذْتُمُوْنِيْ؟**.

قَالُوْا: إِنَّا أَتَيْنَا ذَنْبًا عَظِيْمًا فَتُبْنَا إِلَى اللهِ، فَتُبْ إِلَى اللهِ مِنْهُ وَاسْتَغْفِرْهُ نَعُدْ إِلَيْكَ.

فقال الإمام عليه السلام: **إِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ**، فَاسْتَجَابُوا إِلَيْهِ وَرَجَعُوْا مَعَهُ إِلَى الكُوْفَةِ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ سِتَّةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ»[1].

ولكن يبدو أنهم -عند عودتهم إلى الكوفة- التقوا بالمدافعين عن التحكيم، وهم أكثرية الجند ممن اتَّبع الأشعث، فأثارهم هذا الأخير الذي كانت مواقفه الخيانية مشهودة في كل مكان، وهو الذي أكره الإمام على التحكيم أول مرة، فخرج القوم إلى منطقة تسمى بالنهروان فمر بهم مسلم ونصراني، فقتلوا المسلم بعد أن عرفوا رأيه حول الإمام، وتركوا الثاني قائلين: لابد أن نحفظ ذمة نبيِّنا. وكأنَّ الإسلام لم يحقن دماء المسلمين!

والواقع: أن تنامي التطرف وانحسار الوعي، وتهافت أسس التفكير عند القوم، كان السبب في جرائمهم، كما كان سبب انقراضهم.

لقد كان عبد الله بن خباب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك والده خباب بن الأرت كان من أعظم أصحاب الرسول، فمرَّ بهم عبد الله وفي عنقه قرآن، ومعه زوجته الحامل، وكانت في شهرها الأخير، فأخذوه وقالوا له: إن هذا الذي في عنقك يأمرنا بقتلك، فقال لهم أحيوا ما أحياه القرآن، وأميتوا ما أماته.

(١) أنظر: نهج البلاغة، ج٢، ص٢٧٨، الإرشاد للمفيد، ج١، ص٢٧٠.

وفيما هم يحاورونه كانت تسقط تمرة من نخلة فيتناولها أحدهم، فيصيحون به حتى يلفظها. ويمر بهم خنزير فيقتله أحدهم، فينهرونه ويقولون هذا فساد في الأرض.

وعادوا إلى عبد الله بن خباب وقالوا له: ما تقول في أبي بكر وعمر وعلي قبل التحكيم، وعثمان في الست السنين الأخيرة من خلافته؟. فأثنى عليهم خيرًا. فقالوا: ما تقول في علي بعد التحكيم والحكومة؟. فقال: إن عليًّا أعلم بالله، وأشد توقيًا على دينه، وأنفذ بصيرة.

فقالوا: إنك لا تتبع الهدى، بل تتبع الهوى، والرجال على أسمائهم. ثم جروه إلى شاطئ النهر وذبحوه وجاؤوا بزوجته فبقروا بطنها، وذبحوها مع ولدها إلى جانبه![1].

وهكذا عاث الخوارج فسادًا في الأرض وكادت روح القتال المتمردة على القيم تنتشر فيهم وهم أبناء الجزيرة العربية التي لا تزال أرضها تغلي بالدم والثأر والعصبيات الدفينة.

ولولا أن الإمام عليه السلام بادر وسار إليهم لكان يُخشى أن تشمل الفتنة كل أطراف بلاده. فقد قصدهم للتوِّ، ولمَّا بلغ مكانًا قريبًا أرسل إليهم من يأمرهم بدفع قتلة الصحابي الجليل عبد الله بن خباب وزوجته وسائر من قتل من المسلمين على أيديهم. فقالوا له: كلّنا قتلة عبد الله. وأضافوا: ولو قدرنا على علي بن أبي طالب ومن معه لقتلناهم.

فمشى إليهم الإمام بنفسه، وقال: «**أَيُّهَا العِصَابَةُ، إِنِّيْ نَذِيْرٌ لَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوْا لَعْنَةَ هَذِهِ الأُمَّةِ غَدًا وَأَنْتُمْ صَرْعَى فِيْ مَكَانِكُمْ هَذَا بِغَيْرِ بُرْهَانٍ وَلَا سُنَّةٍ**».

(١) سيرة الأئمة الأثني عشر، ص ٤٩٠.

وحاجّهم -مرة أخرى- ونصحهم بأن ينضمّوا إليه لقتال معاوية، وهو هدفهم المعلن، فقالوا: كلا، لابد أن تعترف أولًا بالكفر، ثم تتوب إلى الله كما تبنا حتى نطيع لك، وإلَّا فنحن منابذوك على سواء.

فقال لهم: «**وَيْحَكُمْ، بِمَ اسْتَحْلَلْتُمْ قِتَالَنَا وَالْخُرُوْجَ عَنْ جَمَاعَتِنَا**».

فلم يجيبوه وتنادوا من كل جانب: الرواحَ إلى الجنة!. وشهروا السلاح على أصحابه وأثخنوهم بالجراح، فاستقبلهم الرماة بالنبال والسهام، وشد عليهم أمير المؤمنين وأصحابه، فما هي إلَّا ساعات قلائل حتى صرعوا[1].

وفتّش الإمام بين قتلاهم عن شخص اسمه مخرج وكان معروفًا بذي الثديَّة، فلما وجده بعد بحث كثير، كبَّر وكبَّر أصحابه لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أخبر عن هذه الفئة المارقة، وأنبأ عن علامتهم بوجود هذا الشخص بينهم.

فالرواية تقول: لما عاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من حنين، وبدأ تقسيم الغنائم قام إليه رجل من بني تميم، يقال له الخويصرة فقال له: إعدل يا محمد! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لَقَدْ عَدَلْتُ**».

وأعاد إليه التميمي قوله ثانية فقال صلى الله عليه وآله وسلم له: «**وَيْلَكَ، إِنْ لَمْ أَعْدِلْ أَنَا فَمَنْ يَعْدِلُ؟**».

وفي الثالثة رد عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «**سَيَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَخْرُجُونَ عَلَى خَيْرِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ يُحَقِّرُوْنَ صَلَاتُكُمْ فِي جَنْبِ صَلَاتِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ فَلَا**

(١) سيرة الأئمة الأثني عشر، ص ٤٩١.

يَتَجَاوَزُ تَرَاقِيَهُمْ، بَيْنَهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ مُخْدَجُ الْيَدَيْنِ إِحْدَى ثَدْيَيْهِ كَأَنَّهَا ثَدْيُ امْرَأَةٍ، وفي رواية عائشة: **يَقْتُلُهُ خَيْرُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي**»[1].

لقد أشار النبي ﷺ بكلمته الرشيدة تلك إلى وجود طوائف قشرية جاهلة في الأمة، وأنها ستظهر عند أول فرصة تسنح لهم، وذلك حين تقع الفتنة. فهذا الرجل الذي يأمر رسول العدالة بالعدل، ويرى نفسه أحرص على القيم من ذلك الذي اختاره الله تعالى لرسالاته لا يشبه إلَّا الرجل الذي يأمر عليًّا عليه السلام بالتوبة والإيمان، وهو ابن الإيمان، وعلى أكتافه قامت قواعده وترسَّخت أسسه.

ولعل حرص الإمام عليه السلام على التفتيش عن جثمان ذي الثدية، حيث بعث رجالًا من أصحابه ليبحثوا عنه فلم يجدوه فاضطر للبحث عنه شخصيًّا.. أقول: لعل ذلك، كان لإتمام الحجة على الناس، وليعلموا أن هؤلاء مارقون عن الدِّين بشهادة رسول الله ﷺ، فلا يُزايدون على الناس بدينهم الأجوف. ولمعرفة أن هذه الفئة المارقة الملعونة، لم تنتهِ بتصفية أفرادها جميعًا، إذ إنها حالة اجتماعية مستمرة سوف تبرز بين الفينة والأخرى هنا أو هنالك، تحت راية هذا أو ذاك، حيث لم يخلُ عصرٌ منهم أو من أمثالهم ذوي الثفنات الغليظة، والمظاهر الدينية والتطرف للقشور، وتكفير الناس بغير حجة من الله، ولا دليل من العقل.

والخوارج من هنا، وأصحاب الأشعث المتخاذلون من هناك، شكَّلوا أكبر خطر على النظام الإسلامي، في عهد الإمام عليه السلام وهم يُشكِّلون الخطر ذاته على كل رسالة إصلاحية.

(١) سيرة الأئمة الأثني عشر، ص ٤٩٢.

وفعلًا برزت بُثور عَفِنَة من تابعي نهج الخوارج بعدئذ في أطراف دولة الإسلام، وشغلوا جانبًا من اهتمام الإمام عليه السلام ممّا أتاح فرصة لمعاوية بتثبيت حكمه!

الأيام الأخيرة لعهد الإمام عليه السلام:

حين يمر شريط حياته سلام الله عليه أمام أعيننا تبدو نهاياتها أشد قتامًا حتى يكاد يتفطر القلب أسى. فهذا معاوية يقود رايات الجاهلية ضد رسالة الله!. وهذا الأشعث وأهل الدنيا من قيادات الجيش الكوفي، يميلون إلى باطل معاوية، وتستهويهم وعوده الكاذبة أكثر من نصائح الإمام عليه السلام، وهؤلاء أصحابه الكرام يَلقون مناياهم ويُصرَّعون بالحرب حينًا، وبالغيلة أحيانًا، ولا يمر عليه يوم إلّا وتتوارد عليه أنباء مؤسفة.

فالمتطرفون يخرجون عليه، ويُزعجون جيشه، والجيش قد تعب من الحرب، ومعاوية يزداد قوة كل يوم، ويبعث بسرايا خفيفة تُغِيرُ على أطراف البلاد. يُحيي بذلك سنن الجاهلية التي ينتمي إليها، ويشجّع القبائل العربية والقيادات الجاهلية على العودة إلى عاداتهم السابقة من سلب ونهب، ثم يهاجم اليمن والحجاز بجيش يقوده بسر بن أرطأة، ويأمره بإثارة الفوضى وإرهاب الموالين للإمام عليه السلام، ويُجهِّز جيشًا لمهاجمة مصر، بقيادة عمرو بن العاص الذي اتَّبعه طمعًا في ولاية مصر، فيعيث فسادًا في مصر، ويقتل والي الإمام عليها (محمد بن أبي بكر) ويُمَثِّل به ويُحرقه.

وحينما ندب الإمام لمصر السيف الصارم (مالك الأشتر)، دبّر معاوية خطة لاغتياله بالسم في بعض الطريق، وكان نبأ شهادته على الإمام عظيمًا، إذ فقد بطلًا راسخ الإيمان شديد الوطأة على أعداء الله.

كل ذلك، وأهل الكوفة لا يزالون مختلفين، إذ كانوا متأخرين قرونًا عديدة عن أفق الإمام عليه السلام، حيث كان يستحثهم بكل ما أُوتي من بلاغة القول وحكمة الرأي وقوة الطرح، على الجهاد في سبيل الله وعلى المحافظة على كرامتهم ومكاسب ثورتهم، فلم يكن يستجيب له إلَّا طليعة القوم.

ولعل الهدف الأسمى للإمام عليه السلام كان ترسيخ أسس الإيمان عند هؤلاء الطليعة الذين هم شيعته المخلصون، ليمتدَّ الخط الرسالي حاملًا مشعل التوحيد، عبر الأجيال.

وكان يؤلمه حقًّا تفرُّقُ أهل الكوفة عن حقهم، واجتماع أهل الشام على باطلهم، وكان يتمنى أن لَو بادَلَه معاويةُ بأصحابه على أن يدفع منهم عشرة ويأخذ واحدًا من أصحاب معاوية، وأخيرًا رمى بآخر سهم من كنانته فقال: «**أَمَا إِنِّي قَدْ سَئِمْتُ مِنْ عِتَابِكُمْ وَخِطَابِكُمْ، فَبَيِّنُوْا لِيْ مَا أَنْتُمْ فَاعِلُوْنَ، فَإِنْ كُنْتُمْ شَاخِصِيْنَ مَعِيْ إِلَى عَدُوِّيْ فُهُوَ مَا أَطْلُبُ وَمَا أُحِبُّ، وَإِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ فَاعِلِيْنَ فَاكْشِفُوْا لِيْ عَنْ أَمْرِكُمْ. فَوَاللهِ لَئِنْ لَمْ تَخْرُجُوْا مَعِيْ بِأَجْمَعِكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ فَتُقَاتِلُوْهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِيْنَ، لَأَدْعُوَنَّ اللهَ عَلَيْكُمْ وَلَأَسِيْرَنَّ إِلَى عَدُوِّكُمْ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَعِيْ إِلَّا عَشْرَةٌ.**

وأضاف قائلًا: «**أَجْلَافُ أَهْلِ الشَّامِ أَصْبَرُ عَلَى نُصْرَةِ الضَّلَالِ، وَأَشَدُّ إِجْمَاعًا عَلَى البَاطِلِ مِنْكُمْ عَلَى هُدَاكُمْ وَحَقِّكُمْ. مَا بَالُكُمْ وَمَا دَوَاؤُكُمْ؟. إِنَّ القَوْمَ أَمْثَالُكُمْ لَا يُنْشَرُوْنَ إِنْ قُتِلُوْا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»[1].

(١) سيرة الأئمة الأثني عشر، ص ٤٩٩.

فلما رأى أهل الكوفة منه العزم على أن يزحف بمن بقي معه من أصحابه المخلصين استجابوا له، وتداعوا للجهاد وخرج المقاتلون إلى النُّخَيْلَةَ حيث كان يعسكر فيه جيش الكوفة. ولبث الإمام عليه السلام: هناك، ووجَّه واحدًا من قادة جيشه (زياد بن حفصة) باتجاه الشام، يقود طلائع الجيش، في حين أنه انتظر انسلاخ شهر رمضان ليزحف ببقية الجيش إلى الشام، لولا أن القدر كان في انتظاره في ليلة التاسع عشر من شهر الله المبارك.

تهدَّمت أركان الهدى:

ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك، تُعتبر من الليالي التي يُرجى فيها أن تكون ليلة القدر. وكان حديث الناس في تلك الليلة في كل مكان حول الحرب، بعد أن بثَّ الإمام عليه السلام فيهم روح الجهاد، ودبّ إليهم النشاط والعزيمة.

وفي طرف مسجد الكوفة كان يصلي جماعة من المصريين، كعادتهم في كل ليلة، قريبًا منهم عند السرة كان يصلي جماعة باجتهاد. وهناك في بيت متواضع على طرف تستضيف الإمام عليه السلام ابنته فتحمل إليه، عند الإفطار، رغيفًا من الخبز ولبنًا وشيئًا من الملح، فيأمرها برفع اللبن. ولما تناول لُقَيمات نهض لصلواته، وبين الفينة والأخرى كان يتطلع إلى السماء فيقول: هي هي الليلة التي وُعِدْتُ بها. لا كَذَبْتُ ولا كُذِّبت.. ثم يخرج إلى المسجد، ويدخله من الباب ذاتها الذي اجتمع خلفه أولئك الرجال.

يقول الراوي: خرج عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام عند الفجر، فأقبل ينادي: «الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ».

وبعدها رأيت بريق السيف، وسمعت قائلًا يقول: الحكم لله لا لك يا علي، ثم رأيت بريق سيف آخر، وسمعت عليًا يقول: **لَا يَفُوْتَنَّكُمُ الرَّجُلُ**.

وكان الأشعث قال لابن ملجم: النجاة لحاجتك قبل أن يفضحك الفجر[1].

فمن هو الذي اشترك في المؤامرة ضد حياة قائد المسلمين؟.

إنهم ثلاثة اجتمعوا في الحج وقرر كل واحد منهم اغتيال واحد من الثلاثة: معاوية، وعمرو بن العاص، والإمام عليه السلام. فلم ينجح صاحب عمرو بن العاص، إذ كان قد استناب عنه آخر، للصلاة فقُتل، في حين وقع سيف صاحب معاوية على فخذه وجرحه جرحًا بسيطًا.

أما ابن ملجم، الذي كان قد اشترى سيفه بألف وسمَّمه بألف، فقد التقى -فيما يبدو- بالمعارضة التي تنامت في الكوفة، وكان يقودها ابن الأشعث الذي بدأ يتباكى على مصرع الخوارج، وكان قد دخل الإمام عليه السلام قبل فترة فأغلظ عليه لمؤامرته المستمرة ضد الإسلام، فتوعَّده وهدَّده بالفتك، فقال له الإمام: «**أَبِالمَوْتِ تُخَوِّفُنِي أَوْ تُهَدِّدُنِي، فَوَاللهِ مَا أُبَالِي وَقَعْتُ عَلَى المَوْتِ أَوْ وَقَعَ المَوْتُ عَلَيَّ**»[2].

وهكذا تعاون معه في جريمته سبيب بن بجران، ووردان بن مجالد، ولعل رجالًا آخرين من جماعة ابن الأشعث كانوا مساهمين معهم.

ومن خلال الأشعث التقت مصلحة الخوارج (الذين كانوا

(١) سيرة الأئمة الأثني عشر، ص ٥٠٥.
(٢) سيرة الأئمة الأثني عشر، ص ٥٠١.

من أشد المعارضين لمعاوية) بمصالح معاوية الذي كان يخشى هجومًا صاعقًا لجند الإسلام ضده. وكان لا يني من توزيع الوعود على الطامعين في الكوفة، للفتك بالإمام عليه السلام. ومن هنا خاطب أبو الأسود الدؤلي معاوية بعد تنفيذ الجريمة قائلًا:

أَلَا أبلغْ معاوية بنَ حربٍ　　فلا قرَّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا　　بخير الناس طرًّا أجمعينا
قتلتم خير مَنْ ركب المطايا　　وذلَّلها ومَنْ ركب السفينا
ومَنْ لبس النعال ومن حذاها　　ومن قرأ المثاني والمثينا[1]

وبعد تنفيذ الجريمة، حُمل الإمام عليه السلام إلى البيت، وأُحضر عنده ابن ملجم فقال الإمام: «**النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضًا، تَقُولُونَ: قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلَا لَا يُقْتَلَنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي**».

ودخل على الإمام عليه السلام أكبر أطباء الكوفة واسمه: أثير بن عمر بن هاني، فلما فحصه مليًّا قال: يا أمير المؤمنين اعهد عهدك، فإن عدو الله قد وصلت ضربتُه إلى أم رأسك[2].

ويقول الأصبغ بن نباتة: دخلتُ على أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا هو مستند معصوب الرأس بعمامة صفراء قد نزف دمُه واصفرَّ وجهه. فما أدري وجهه أشد صفرةً أم العمامة، فاكببتُ عليه فقبلته وبكيت. فقال لي: «**لَا تَبْكِ يَا أَصْبَغُ فَإِنَّهَا -وَاللهِ- الْجَنَّةُ**.

(١) في المصدر (والمبينا) والظاهر ما ذكرناه أنظر سيرة الأئمة الأثني عشر ص٥٠٢.
(٢) في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام، ج ٢، ص ٢٥٥.

فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنِّي أَعْلَمُ -وَاللهِ- أَنَّكَ تَصِيرُ إِلَى الجَنَّةِ وَإِنَّمَا أَبْكِي لِفِقْدَانِي إِيَّاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ»[1].

وبكت عنده أم كلثوم بعد أن نعى إليها نفسه، فقال لها: «**لَا تُؤْذِينِي يَا أُمَّ كُلْثُومٍ، فَإِنَّكِ لَوْ تَرَيْنَ مَا أَرَى، لَمْ تَبْكِي؛ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ مِنَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ بَعْضُهُمْ خَلْفَ بَعْضٍ، وَالنَّبِيُّونَ يَقُولُونَ: انْطَلِقْ يَا عَلِيُّ، فَمَا أَمَامَكَ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ**»[2].

وبقي الإمام عليه السلام ثلاثًا تشتد حالته، حتى كان ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان، في الثلث الأول منها، وعهد عهده إلى الإمام الحسن وأوصاه وأخاه الإمام الحسين عليهما السلام، بآخر وصاياه، ثم ودَّع أهل بيته، واستقبل ملائكة ربه بالسلام وفارقت روحه الزكية الحياة، وصرخت بناته ونساؤه، وارتفعت الصيحة في بيته، فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين قد قُبض، فأقبل الرجال والنساء أفواجًا، وصاحوا صيحة عظيمة، وارتجَّت الكوفة بأهلها! وكان ذلك اليوم كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم غسله الإمام الحسن والإمام الحسين معًا عليهما السلام، بينما كان محمد بن الحنفية يصب الماء. وحُنِّط ببقية حنوط رسول الله، ووضعوه على سريره، وصلَّى عليه الإمام الحسن عليه السلام، وحُمل في جوف الليل من تلك الليلة إلى ظهر الكوفة فدفن بالنوبة عند قائم الغرِّيين حيث مرقده الشريف الآن.

وكانت الحكمة في كتمان موضع قبره الذي ظل سريًّا عن العامة

(١) أنظر: في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام، ج ٢.
(٢) أنظر: في رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام، ج ٢.

حتى عهد الإمام الرضا عليه السلام، اتّقاء شرّ الخوارج وبني أمية.

ثم قتل ابن ملجم وأُحرق بالنار.

وطُويت صفحة ناصعة من حياة الإمام عليه السلام بشهادته، لتنشر على مدى الدهر صفحات مجده وعزه، وفضائله، وتابعيه على الهدى والاستقامة.

فسلام الله عليه حين ولد في الكعبة، وحين وقع صريعًا في محراب الكوفة، وحين مضى شهيدًا وشاهدًا على الظالمين، وحين أضحى راية العدالة وعلم الهدى، ومنار التقوى.

وسلام الله عليه حين يبعث حيًّا، ليجعله الله ميزانًا يفصل به بين عباده، وقسيمًا للجنة والنار.

وسلام على الصِّدِّيقين الذين اتَّبعوا خُطاه، وعلى شيعته الذين تحمَّلوا في ولائه ما تعجز عنه الجبال الراسيات.

الفصل الخامس

فَضَائِلُهُ وَمَنَاقِبُهُ

فضائله ومناقبه عليه السلام

وكأشعَّة الشمس ملأت فضائل الإمام عليه السلام الآفاق، وأعطتنا ضياءً ودفئًا روحيًّا. ولقد تنافس كبار علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم في سرد فضائله، حتى ليكاد السُّذَّج من القُرَّاء يقولون: فعلي -اذًا- أفضل الناس جميعًا. جاهلين بأنه آيةُ صدقٍ لرسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومرآةٌ صافيةٌ تتجلى فيها صورة مربيه وسيده محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حتى قال عليه السلام: «**أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ** صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

بلى، إن إصرار أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأُولي البصائر من التابعين والصِّدِّيقين من المسلمين على نشر فضائل الإمام عليه السلام كان تحديًا لخط الضلال الذي تسلط على المسلمين، واجتهد لمحو معالم الحق.. وهكذا خرجت فضائله عن إطار الإحصاء.

بيد أن علينا أَلَّا ننظر إلى فضائله بصورة منفصلة عن بعضها. أرأيت كيف لو مَزَّقْتَ زهرةً وبدأت تنظر إلى كل ورقة فيها وحدها؟.

إنَّنا حين نتحدَّث عن الزهد يُخيَّل إلينا انطواء المرتاضين ورهبنة

(١) بحار الأنوار، ج٣، ص٢٨٣.

الهاربين عن الحياة.

وإذا تحدثنا عن العلم قفزت إلى أذهاننا صورة أولئك المنكبين على أوراقهم في المكتبات، أو على أدواتهم في المختبرات، دون أن يتحملوا المسؤولية أو يخوضوا صراعًا.

وإذا ذكرنا الجود تذكرنا الملوك حين يُوزعون الهدايا على الملأ من قومهم، ليستدرجوهم إلى مؤازرتهم وليضمنوا ولاءهم.

وإذا بيَّنا الشجاعة، ارتسمت أمامنا صورة أبطال الحروب، الذين دأبهم القتل ومهمتهم إراقة الدماء، وهكذا.

بيد أن عليًّا عليه السلام غير كل أولئك؛ لأنَّ صفاته تجليات لروحه الإيمانية، كالنور الواحد ينعكس على الأشياء فيتجلى عليها ألوانًا مختلفة، وهكذا نور التوحيد في ضمير الإمام عليه السلام ينبعث في واقعه صِفةً مُثلى وآيةً عُظمى للحق.

فحين يتجلَّى الرب سبحانه للقلب السليم فيُثَبِّتُهُ بالقول الثابت، ويُفيض عليه من نور عزِّه، يصبح صاحبه الجواد العدل، والشجاع الحنون، والعالم المسؤول، والزاهد المتصدي، والبكَّاء في ظلام الليل، والقتَّال حين يرتفع النهار.

ويقول قائلهم:

جُمِعَتْ في صفاتك الأضدادُ ولهذا عزَّتْ لك الأندادُ[1]

ونقول: إنها الصفات الحسنى يتبع بعضها بعضًا. إنها الحب

(١) ديوان صفي الدّين الحلي، ص٨٨، قصيدة بعنوان (سر النبي صلى الله عليه وآله).

والصدق والأمانة، تجمعها معرفة الله، وتنساب منها سائر فضائل الخير.

لقد عاش لله سبحانه؛ لأنه عرف الله. وتنمَّر في ذات الله؛ لأنه أُوتي اليقين بعظمة ربِّه. أو لم يقل عليه السلام عن المؤمنين وهو أميرهم: «**عَظُمَ الخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ**»(١).

واستهان بالموت؛ لأنه أحب لقاء ربه.

وعدل في الرعية؛ لأنه تجاوز حواجز المادة إلى حقائق الجوهر، فأسقط كل الميزات الظاهرية، وتحدَّى الضغط الذي يدعو إليها.

وزهد في الدنيا؛ لأنه أبصر حقيقتها فصامت نفسه عنها قبل أن تصوم جوارحه، وطلَّقها ثلاثًا وقال لها: «**يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا!! إِلَيْكِ عَنِّي، قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا**»(٢).

وأنهكته العبادة؛ لأنه يلتقي هناك بحبيبه الكريم. فلم يزل ذاكرًا ربه، يعيش قلبه بمناجاته. وهكذا كانت سائر فضائله روافد من نبع الإيمان والمعرفة واليقين.

وها نحن نروي لك شيئًا قليلًا منها لعلنا نزداد معرفة بإمامنا سلام الله عليه، ونزداد قربًا إلى ربنا بمعرفته.

فقد روى أبو الدرداء في جمع من أصحاب النبي قصته مع الإمام علي عليه السلام، وكيف شاهد جانبًا من عبادته الليلية:

عن هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير قال: «كُنَّا جُلُوسًا

---

(١) نهج البلاغة، من خطبة له عليه السلام يصف فيها المتقين.

(٢) نهج البلاغة، حكم أمير المؤمنين عليه السلام، رقم ٧٧.

فِي مَجْلِسٍ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَذَاكَرْنَا أَعْمَالَ أَهْلِ بَدْرٍ وَبَيْعَةَ الرِّضْوَانِ.

فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: يَا قَوْمِ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَقَلِّ الْقَوْمِ مَالًا، وَأَكْثَرِهِمْ وَرَعًا، وَأَشَدِّهِمُ اجْتِهَادًا فِي الْعِبَادَةِ؟.

قَالُوا: مَنْ؟.

قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: فَوَاللهِ إِنْ كَانَ فِي جَمَاعَةِ أَهْلِ الْمَجْلِسِ إِلَّا مُعْرِضٌ عَنْهُ بِوَجْهِهِ.

ثُمَّ انْتَدَبَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ لَهُ: يَا عُوَيْمِرُ لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلِمَةٍ مَا وَافَقَكَ عَلَيْهَا أَحَدٌ مُنْذُ أَتَيْتَ بِهَا.

فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: يَا قَوْمِ! إِنِّي قَائِلٌ مَا رَأَيْتُ وَلْيَقُلْ كُلُّ قَوْمٍ مِنْكُمْ مَا رَأَوْا. شَهِدْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بِشُوَيْحِطَاتِ النَّجَّارِ، وَقَدِ اعْتَزَلَ عَنْ مَوَالِيهِ، وَاخْتَفَى مِمَّنْ يَلِيهِ، وَاسْتَتَرَ بِمُغَيِّلَاتِ النَّخْلِ، فَافْتَقَدْتُهُ وَبَعُدَ عَلَيَّ مَكَانُهُ، فَقُلْتُ: لَحِقَ بِمَنْزِلِهِ، فَإِذَا أَنَا بِصَوْتٍ حَزِينٍ وَنَغْمَةٍ شَجِيٍّ وَهُوَ يَقُولُ: **إِلَهِي كَمْ مِنْ مُوبِقَةٍ حَلُمْتَ عَنْ مُقَابَلَتِهَا بِنِقْمَتِكَ، وَكَمْ مِنْ جَرِيرَةٍ تَكَرَّمْتَ عَنْ كَشْفِهَا بِكَرَمِكَ.**

إِلَهِي إِنْ طَالَ فِي عِصْيَانِكَ عُمُرِي، وَعَظُمَ فِي الصُّحُفِ ذَنْبِي، فَمَا أَنَا مُؤَمِّلٌ غَيْرَ غُفْرَانِكَ، وَلَا أَنَا بِرَاجٍ غَيْرَ رِضْوَانِكَ.

فَشَغَلَنِي الصَّوْتُ وَاقْتَفَيْتُ الْأَثَرَ، فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بِعَيْنِهِ، فَاسْتَتَرْتُ لَهُ وَأَخْمَلْتُ الْحَرَكَةَ، فَرَكَعَ رَكَعَاتٍ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْغَابِرِ، ثُمَّ فَرَغَ إِلَى الدُّعَاءِ وَالْبُكَاءِ وَالْبَثِّ وَالشَّكْوَى، فَكَانَ مِمَّا ناجى اللهَ بِهِ: **إِلَهِي أُفَكِّرُ فِي عَفْوِكَ فَتَهُونُ عَلَيَّ خَطِيئَتِي، ثُمَّ أَذْكُرُ الْعَظِيمَ**

مِنْ أَخْذِكَ فَتَعْظُمُ عَلَيَّ بَلِيَّتِي.

ثُمَّ قَالَ: «آهِ إِنْ أَنَا قَرَأْتُ فِي الصُّحُفِ سَيِّئَةً أَنَا نَاسِيهَا وَأَنْتَ مُحْصِيهَا، فَتَقُولُ: خُذُوهُ؛ فَيَا لَهُ مِنْ مَأْخُوذٍ لَا تُنْجِيهِ عَشِيرَتُهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ قَبِيلَتُهُ، يَرْحَمُهُ الْمَلَأُ إِذَا أُذِنَ فِيهِ بِالنِّدَاءِ».

ثُمَّ قَالَ: «آهِ مِنْ نَارٍ تُنْضِجُ الْأَكْبَادَ وَالْكُلَى، آهِ مِنْ نَارٍ نَزَّاعَةٍ لِلشَّوَى، آهِ مِنْ غَمْرَةٍ مِنْ مُلْهَبَاتِ لَظَى!».

قَالَ: ثُمَّ أَنْعَمَ فِي الْبُكَاءِ، فَلَمْ أَسْمَعْ لَهُ حِسًّا وَلَا حَرَكَةً، فَقُلْتُ: غَلَبَ عَلَيْهِ النَّوْمُ لِطُولِ السَّهَرِ، أُوقِظُهُ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ.

قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ كَالْخَشَبَةِ الْمُلْقَاةِ فَحَرَّكْتُهُ فَلَمْ يَتَحَرَّكْ وَزَوَيْتُهُ فَلَمْ يَنْزَوِ، فَقُلْتُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، مَاتَ وَاللهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.

قَالَ: فَأَتَيْتُ مَنْزِلَهُ مُبَادِرًا أَنْعَاهُ إِلَيْهِمْ.

فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ! مَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ وَمِنْ قِصَّتِهِ؟. فَأَخْبَرْتُهَا الْخَبَرَ فَقَالَتْ: هِيَ وَاللهِ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ الْغَشْيَةُ الَّتِي تَأْخُذُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ.

ثُمَّ أَتَوْهُ بِمَاءٍ فَنَضَحُوهُ عَلَى وَجْهِهِ فَأَفَاقَ، وَنَظَرَ إِلَيَّ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: مِمَّ بُكَاؤُكَ يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ؟.

فَقُلْتُ: مِمَّا أَرَاهُ تُنْزِلُهُ بِنَفْسِكَ.

فَقَالَ: «يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ! فَكَيْفَ وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَدُعِيَ بِي إِلَى الْحِسَابِ، وَأَيْقَنَ أَهْلُ الْجَرَائِمِ بِالْعَذَابِ، وَاحْتَوَشَتْنِي مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ وَزَبَانِيَةٌ فِظَاظٌ،

فَوَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيِ المَلِكِ الجَبَّارِ، قَدْ أَسْلَمَنِي الْأَحِبَّاءُ، وَرَحِمَنِي أَهْلُ الدُّنْيَا؛ لَكُنْتَ أَشَدَّ رَحْمَةً لِي بَيْنَ يَدَيْ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَة.

فَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: فَوَاللهِ مَا رَأَيْتُ ذَلِكَ لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله»[1].

ولأن إمامنا عليه السلام كان أشد حبًّا لربّه وأكثر أُنْسًا به وشوقًا إليه، كان يُحِبُّ لقاء ربه، ولا يبالي بالموت. فقد جاء في حديث أنه كان يطوف بين الصفين بصِفِّين في غلالة[2]، فقال الحسن عليه السلام: «مَا هَذَا زِيَّ الحَرْبِ»، فقال: «يَا بُنَيَّ! إِنَّ أَبَاكَ لَا يُبَالِي وَقَعَ عَلَى المَوْتِ أَوْ وَقَعَ المَوْتُ عَلَيْهِ». وحينما علاه أشقى الآخرين بالسيف هتف عاليًا: «فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَة».

وقد كان عليه السلام يتمنى الشهادة، ويكرر هذه الكلمة باستمرار: «مَا يَنْتَظِرُ أَشْقَاهَا أَنْ يَخْضِبَهَا مِنْ فَوْقِهَا بِدَم»!.

لقد كان يعتبر الشهادة أسمى الطرق إلى الله ولقائه. فإذا وَفَّقَ الله لها عبدًا فتلك نعمة كبرى لا بدّ أن يشكره عليها.

يقول الإمام عليه السلام: «لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[3] عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللهُ بِهَا؟. فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ اسْتُشْهِدَ

(١) بحار الأنوار، ج٤١، ص١٣.
(٢) الغلالة: ثوب رقيق يلبس تحت الثوب أو تحت الدرع.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١ - ٢.

مَنِ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ؛ فَقُلْتَ لِي: أَبْشِرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِك؟.

فَقَالَ لِي: إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذَن؟.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبْرِ، وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْر»[1].

حُبُّ اللَّه تعالى فوق كل وشيجة

وكان حبه الشديد لربه سبحانه يجعله فوق كل وشيجة مادية، وكل ضغط اجتماعي، وكل مصلحة دنيوية زائلة.

فقد حدثنا عليه السلام بنفسه عن أسباب نصر الله للمسلمين. وجعل أعظمها التعالي عن علاقاتهم النسبية والتمسك بقيم الحق، فقال: «فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ بَيْنَ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَانًا وَمُضِيًّا عَلَى الحَق»[2].

ويروي التاريخ أن الإمام علي عليه السلام «رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ عَقِيلًا فِي قَيْدٍ فَصَدَّ عَنْهُ فَصَاحَ بِهِ: يَا عَلِيُّ! أَمَا وَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتَ مَكَانِي وَلَكِنْ عَمْدًا تَصُدُّ عَنِّي.

فأتى علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وقال: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ لَكَ فِي أَبِي يَزِيدَ مَشْدُودَةً يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ بِنِسْعَةٍ؟ فَقَالَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَيْه»[3].

(١) بحار الأنوار، ج٤١، ص٧.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٢.
(٣) بحار الأنوار، ج٤١، ص ١٠.

وهكذا كان موقفه من أخته أم هاني يوم فتح مكة، حيث أوت رجالًا من قريش، كما يروي التاريخ، فلم يُجِرْهُمْ حتى أجارهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1].

ومن هنا كان الإمام عليه السلام يعيش أبدًا فوق الضغوط وكان الناس يعرفون منه ذلك، ولذلك تعاونت ضده أصحاب المصالح، وقوى الضغط الاجتماعية، كما تخبرنا عن ذلك زوجته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام: «**وَمَا الَّذِي نَقَمُوا مِنْ أَبِي الحَسَنِ؟! نَقَمُوا مِنْهُ -وَاللهِ- نَكِيرَ سَيْفِهِ، وَقِلَّةَ مُبَالَاتِهِ بِحَتْفِهِ، وَشِدَّةَ وَطْأَتِهِ، وَنَكَالَ وَقْعَتِهِ، وَتَنَمُّرَهُ فِي ذَاتِ اللهِ**»[2].

لقد عرفوا أنه لا يبالي، ولا يداهن فيما يرتبط بربه. وهكذا شهدت حوادث التاريخ. فحينما مدَّ إليه عبد الرحمن ليبايعه -على كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الشيخين- رفض الاستجابة إلّا لكتاب الله وسنّة رسوله، ولم يبالِ أن الخلافة -بكل ما فيها من عظمة وجلال- تُزْوَى عنه.

بل إن نظراته إلى الحكم كانت أبدًا من خلال ما يمكن أن ينفع دينه. فهو الذي قال مرة لابن عباس، وقد استعجله لاستقبال الوفود وكان مشغولًا بإصلاح نعله، قال له: يا بن عباس، ما قيمة هذه النعل عندكم؟ قال: درهمًا أو بعض درهم.

قال: «**وَاللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ، إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا، أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا**»[3].

(١) بحار الأنوار، ج٤١، ص ١٠.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٥٨.
(٣) نهج البلاغة، من خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة (٣٣).

أوَلم يرفض إبقاء معاوية على إمارة الشام مدةً من الزمن يستقر فيها الأمر له ثم يعزله كما أشار عليه البعض، لأنه كان يرفض الغدر؟.

وقد قال مرة: «**وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاس**»[1].

ويروي التاريخ أن كل الملتحقين بمعاوية ممن كان مع الإمام علي عليه السلام هربوا من عدالته، واستراحوا إلى محاباة معاوية ومداراته. وكذلك فقل: والذين أَثْرَوْا على عهد الخليفة الثالث ومثلهم ثراءً فاحشًا على حساب المحرومين، وخشوا من محاسبة الإمام علي لهم. الذين كانت بأيديهم ثروات المسلمين، من بيت المال، وأرادوا الاستئثار بها. وكذلك الذين كانوا يتصورون المجتمع الإسلامي كالجاهلية يأكل القويُّ العزيزُ فيه الضعيفَ الذليلَ، ولم يُعجبهم شعار الإمام عليه السلام: «**الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الحَقَّ مِنْهُ**»[2].

وكذلك هرب من عدله الذين كانوا يرتكبون جرائم يستحقون عليها الحد، والذين كانوا يبحثون عن جو التسامح في دين الله، يسمح لهم ارتكاب بعض الجرائم كإقامة الحفلات الماجنة ومعاقرة الخمور.

كل أولئك كانوا يتسللون إلى معاوية ويُشفق عليهم الإمام عليه السلام، لأنهم يهربون من النور إلى الظلام، ومن العدالة الشاملة إلى مجتمع الظلم الزائل.

ولكنه لم يغير سياسته من أجل استمالتهم. والتاريخ يحفل بمئات الحوادث التي تروي لنا قصة ذلك الركن الشديد، الذي تتراجع عنه عواصف الضغط الاجتماعية، قصة ذلك الصلد الأصم الذي تتكسر عنده كل أمواج

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٠.
(٢) نهج البلاغة الخطبة (٣٧).

الإغراء والإرهاب.. فليجتمعوا حول معاوية، ثم يزيد ثم من يأتي من سلاطين بني أمية، وليرفعوا عقيرتهم ألف شهر، بسبِّ عليٍّ وذريته عليهم السلام، وليتفاخروا بقتل أولاده وشيعته.. وليفعلوا ما شاؤوا أن يفعلوا.. فالحق أغلى.. والله أكبر، وأمير المؤمنين عليه السلام يصبر محتسبًا ثواب ربِّه عزَّ وجلَّ.

ولقد قال مرة: «**كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْأُمَرَاءَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ فَإِذَا النَّاسُ يَظْلِمُونَ الْأُمَرَاء**»[1].

أجل، إن انعدام الوعي عند الناس وكثرة القوى المصلحية كانت وراء ظلمهم لأمير المؤمنين عليه السلام. فقد كان يريد إقامة مجتمع القانون، والناس يرغبون في الفوضى والمحاباة، وأن ينفَّذ القانونُ أبدًا على غيرهم. أما هم فالأفضل أن تمشي لهم الوساطات.

لقد أخذ الإمام علي عليه السلام رجلًا من بني أسد في حدٍّ، فاجتمع قومه ليكلِّموا فيه، وطلبوا إلى الحسن عليه السلام أن يصحبهم، فقال: «**ائْتُوهُ فَهُوَ أَعْلَى بِكُمْ عَيْنًا**.

فَدَخَلُوا عَلَيْهِ وَسَأَلُوهُ فَقَالَ: «**لَا تَسْأَلُونِّي شَيْئًا أَمْلِكُهُ إِلَّا أَعْطَيْتُكُمْ**»، فَخَرَجُوا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ أَنْجَحُوا، فَسَأَهُمُ الْحَسَنُ عليه السلام فَقَالُوا: أَتَيْنَا خَيْرَ مَأْتِيٍّ وَحَكَوْا لَهُ قَوْلَهُ.

فَقَالَ: **مَا كُنْتُمْ فَاعِلِينَ إِذَا جُلِدَ صَاحِبُكُمْ**.

فَأَصْغَوْهُ فَأَخْرَجَهُ عَلِيٌّ عليه السلام فَحَدَّهُ، ثُمَّ قَالَ: **هَذَا وَاللهِ لَسْتُ أَمْلِكُه**»[2].

(١) بحار الأنوار، ج٤١، ص٥.
(٢) بحار الأنوار، ج٤١، ص٨.

وقد بيّن فلسفة ذلك في قصة أخرى حيث بلغ معاوية أن شاعرًا من أصحاب الإمام عليه السلام كان اسمه النجاشي قد هجاه، ولعل معاوية كان يعرف أنه يشرب الخمر، فدسَّ قومًا شهدوا عليه عند الإمام أنه شرب الخمر، فأخذه وحدّه.

فغضب جماعة على الإمام عليه السلام في ذلك -وكان بينهم طارق بن عبد الله الفهدي- فقال: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنَّا نَرَى أَنَّ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ وَالطَّاعَةِ وَأَهْلَ الْفُرْقَةِ وَالْجَمَاعَةِ عِنْدَ وُلَاةِ الْعَقْلِ وَمَعَادِنِ الْفَضْلِ سِيَّانِ فِي الْجَزَاءِ! حَتَّى مَا كَانَ مِنْ صَنِيعِكَ بِأَخِي الْحَارِثِ -يَعْنِي النَّجَاشِيَّ-، فَأَوْغَرْتَ صُدُورَنَا وَشَتَّتْتَ أُمُورَنَا وَحَمَلْتَنَا عَلَى الْجَادَّةِ الَّتِي كُنَّا نَرَى أَنَّ سَبِيلَ مَنْ رَكِبَهَا النَّار (أي اتّباع معاوية).

فقال علي عليه السلام: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1]. **يَا أَخَا بَنِي نَهْدٍ! هَلْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ انْتَهَكَ حُرْمَةً مِنْ حرمة [حُرَمِ] اللهِ فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ حَدَّهَا زَكَاةً لَهُ وَتَطْهِيرًا؟**.

يَا أَخَا بَنِي نَهْدٍ! إِنَّهُ مَنْ أَتَى حَدًّا فَأُلِيمَ[2] كَانَ كَفَّارَتَهُ.

يَا أَخَا بَنِي نَهْدٍ! إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3]»[4].

لقد كانت نظرة الإمام عليه السلام إلى العدل والمساواة مستوحاة من لبِّ الوحي وروح الرسالة، وقد انعكست على مواقفه، وفي تأديبه

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.
(٢) أي ارتكب ما يوجب عليه الحد فلامه الناس أو آلمه إقامة الحد عليه.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٨.
(٤) بحار الأنوار، ج٤١، ص١٠.

لِوُلاته، فهنا يوصي عامله على مصر مالك الأشتر فيقول له: «أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّتِكَ وَمِنْ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ وَكَانَ للهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةٍ وَتَعْجِيلِ نَقِمَةٍ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ فَإِنَّ اللهَ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِمِرْصَادٍ».

ثم يحذره من محاباة الخاصة (وهم الأشراف وأولو الوجاهات والوساطات) فيقول: «وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِلرَّعِيَّةِ؛ فَإِنَّ سَخَطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سَخَطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ»[1].

مكرمات الإمام عليه السلام على لسان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم:

عشرات المجلدات لا تكفي وصف حياة الإمام عليه السلام الذي تجلَّى الوحي في حياته، وكان آية صدقٍ لرسالات الله، وشاهد حقٍّ لنبوَّة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وإذا كان هذا الكتاب لا يسع من فيض مكرماته سوى قطرات، فإن تلك القطرات تكفينا، لأنها بالنسبة إلينا رافد عظيم.

ولعل البعض تصيبه الدهشة إذا سمع فضائل الإمام عليه السلام على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه لم يستوعب حكمة الخلق، ولا يفكر في إطار البصائر القرآنية.

أما إذا نظر إلى السماوات والأرض وما فيها بصفتها مخلوقات لله،

(١) نهج البلاغة، من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر.

وعلم أن الله سخَّرها للإنسان، وفضَّل البشر على كثير مما خلق تفضيلًا، وأنه إنما أكرم أبناء آدم لعبادتهم له، وأن أكرمهم عنده أتقاهم، استوعب آنئذٍ ما يُذكر من كرامات أولياء الله.

أما إذا نظر إلى الانسان نظرة مادية، فإنه لايمكنه أن يصدق بشيء، حتى بالوحي الذي يعتبر عنوان كرامة الله للانسان، ورمز تفضيله على سائر خلقه، ومفتاح تسخير الأشياء له.

وها نحن نستعرض معًا بعض مكرمات الإمام عليه السلام على لسان النبيِّ صلى الله عليه وآله، ونتذكر أن الصعاب التي مرَّ بها في حياته كانت معراجًا إلى ربه سبحانه، ووسيلةً وزلفى إلى رضوانه.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل السادس

في فضائله عليه السلام
على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

روى سلمة بن قيس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«عَلِيٌّ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ كَالشَّمْسِ بِالنَّهَارِ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَالْقَمَرِ بِاللَّيْلِ فِي الْأَرْضِ. أَعْطَى اللهُ عَلِيًّا مِنَ الْفَضْلِ جُزْءًا لَوْ قُسِمَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَوَسِعَهُمْ، وَأَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الْفَهْمِ لَوْ قُسِمَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَوَسِعَهُمْ. شَبَّهْتُ لِينَهُ بِلِينِ لُوطٍ، وَخُلُقَهُ بِخُلُقِ يَحْيَى، وَزُهْدَهُ بِزُهْدِ أَيُّوبَ، وَسَخَاءَهُ بِسَخَاءِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَهْجَتَهُ بِبَهْجَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، وَقُوَّتَهُ بِقُوَّةِ دَاوُدَ. وَلَهُ اسْمٌ مَكْتُوبٌ عَلَى كُلِّ حِجَابٍ فِي الْجَنَّةِ، بَشَّرَنِي بِهِ رَبِّي وَكَانَتْ لَهُ الْبِشَارَةُ عِنْدِي: عَلِيٌّ مَحْمُودٌ عِنْدَ الْحَقِّ، مُزَكًّى عِنْدَ الْمَلَائِكَةِ وَخَاصَّتِي وَخَالِصَتِي وَظَاهِرَتِي وَمِصْبَاحِي وَجُنَّتِي وَرَفِيقِي، آنَسَنِي بِهِ رَبِّي فَسَأَلْتُ رَبِّي أَلَّا يَقْبِضَهُ قَبْلِي، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَقْبِضَهُ شَهِيدًا. أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ حُورَ عَلِيٍّ أَكْثَرَ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَقُصُورَ عَلِيٍّ كَعَدَدِ الْبَشَرِ. عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ، مَنْ تَوَلَّى عَلِيًّا فَقَدْ تَوَلَّانِي، حُبُّ عَلِيٍّ نِعْمَةٌ، وَاتِّبَاعُهُ فَضِيلَةٌ دَانَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ، وَحَفَّتْ بِهِ الْجِنُّ الصَّالِحُونَ، لَمْ يَمْشِ عَلَى الْأَرْضِ مَاشٍ بَعْدِي إِلَّا كَانَ هُوَ أَكْرَمَ مِنْهُ عِزًّا وَفَخْرًا وَمِنْهَاجًا. لَمْ يَكُ فَظًّا عَجُولًا وَلَا مُسْتَرْسِلًا لِفَسَادٍ وَلَا مُتَعَنِّدًا، حَمَلَتْهُ الْأَرْضُ فَأَكْرَمَتْهُ، لَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَطْنِ أُنْثَى بَعْدِي أَحَدٌ كَانَ أَكْرَمَ خُرُوجًا مِنْهُ، وَلَمْ يَنْزِلْ مَنْزِلًا إِلَّا كَانَ

مَيْمُونًا، أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الْحِكْمَةَ وَرَدَّاهُ بِالْفَهْمِ، تُجَالِسُهُ الْمَلَائِكَةُ وَلَا يَرَاهَا، وَلَوْ أُوحِيَ إِلَى أَحَدٍ بَعْدِي لَأُوْحِيَ إِلَيْهِ، فَزَيَّنَ اللهُ بِهِ الْمَحَافِلَ، وَأَكْرَمَ بِهِ الْعَسَاكِرَ، وَأَخْصَبَ بِهِ الْبِلَادَ، وَأَعَزَّ بِهِ الْأَجْنَادَ مَثَلُهُ كَمَثَلِ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ يُزَارُ وَلَا يَزُورُ، وَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْقَمَرِ إِذَا طَلَعَ أَضَاءَ الظُّلْمَةَ، وَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ أَنَارَتِ الدُّنْيَا، وَصَفَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَمَدَحَهُ بِآيَاتِهِ وَوَصَفَ فِيهِ آثَارَهُ وَأَجْرَى مَنَازِلَهُ، فَهُوَ الْكَرِيمُ حَيًّا وَالشَّهِيدُ مَيِّتًا»[1].

وروى أبو ذر الغفاري قال: «بَيْنَمَا ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ قَامَ وَرَكَعَ وَسَجَدَ شُكْرًا للهِ تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ: يَا جُنْدَبُ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ، وَإِلَى نُوحٍ فِي فَهْمِهِ، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي خَلَّتِهِ، وَإِلَى مُوسَى فِي مُنَاجَاتِهِ، وَإِلَى عِيسَى فِي سِيَاحَتِهِ[2]، وَإِلَى أَيُّوبَ فِي صَبْرِهِ وَبَلَائِهِ[3]، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الْمُقَابِلِ[4] الَّذِي هُوَ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ السَّارِي وَالْكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ أَشْجَعُ النَّاسِ قَلْبًا وَأَسْخَى النَّاسِ كَفًّا[5]، فَعَلَى مُبْغِضِهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

قَالَ: فَالْتَفَتَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ مِنْ هَذَا الْمُقْبِلِ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ»[6].

وجاء في كتابَيِ الخطيب الخوارزمي وأبي عبد الله النطنزي، قال أبو عبيد صاحب سليمان بن عبد الملك:

(١) أمالي الصدوق، ص٦ - ٧.
(٢) ساح سياحة: رسب في الأض للعبادة والترهب.
(٣) في المصدر: في بلائه وصبره.
(٤) في المصدر: المقبل.
(٥) في المصدر: الذي أشجع الناس قلبًا وأسخاهم كفًا.
(٦) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٣٨.

«بَلَغَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ قَوْمًا تَنَقَّصُوا بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَقَالَ: حَدَّثَنِي غَزَالُ بْنُ مَالِكٍ الْغِفَارِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عِنْدِي إِذْ أَتَاهُ جَبْرَئِيلُ، فَنَادَاهُ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله ضَاحِكًا، فَلَمَّا سُرِيَ عَنْهُ قُلْتُ: مَا أَضْحَكَكَ؟ قَالَ: **أَخْبَرَنِي جَبْرَئِيلُ أَنَّهُ مَرَّ بِعَلِيٍّ وَهُوَ يَرْعَى ذَوْدًا لَهُ[1] وَهُوَ نَائِمٌ قَدْ أُبْدِيَ بَعْضُ جَسَدِهِ.**

قَالَ: **فَرَدَدْتُ عَلَيْهِ ثَوْبَيْهِ فَوَجَدْتُ بَرْدَ إِيمَانِهِ وَقَدْ وَصَلَ[2] إِلَى قَلْبِي**»[3].

وفي رواية الأصبغ: «أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام مَضَى مِنَ الْمَدِينَةِ وَحْدَهُ، فَأَتَى عَلَيْهِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ فَرُئِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله يَبْكِي وَيَقُولُ: **اللَّهُمَّ رُدَّ إِلَيَّ عَلِيًّا قُرَّةَ عَيْنِي وَقُوَّةَ رُكْنِي وَابْنَ عَمِّي وَمُفَرِّجَ الْكَرْبِ عَنْ وَجْهِي.**

ثُمَّ ضَمِنَ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَتَى بِخَبَرِ عَلِيٍّ. فَرَكِبَ النَّاسُ فِي كُلِّ طَرِيقٍ فَوَجَدَهُ الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ فَبَشَّرَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله بِقُدُومِهِ فَاسْتَقْبَلَهُ، فَمَا زَالَ يُفَتِّشُ عَنْ يَمِينِ عَلِيٍّ وَعَنْ يَسَارِهِ وَعَنْ رَأْسِهِ وَعَنْ بَدَنِهِ. فَقُلْتُ: تُفَتِّشُ عَلِيًّا كَأَنَّهُ كَانَ فِي الْحَرْبِ؟ فَأَخْبَرَنِي عَنْ جَبْرَئِيلَ عليه السلام أَنَّ أَقْوَامًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَقْصِدُونَكَ مِنَ الشَّامِ فَأَخْرِجْ إِلَيْهِمْ عَلِيًّا وَحْدَهُ فَخَرَجَ مَعَهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام فِي أَلْفِ مَلَكٍ وَمِيكَائِيلُ عليه السلام فِي أَلْفِ مَلَكٍ، وَرَأَيْتُ مَلَكَ الْمَوْتِ يُقَاتِلُ دُونَ عَلِي.

وجاء في أربعين الخطيب، وشرح ابن الفياض، وأخبار أبي رافع، في خبر طويل عن حذيفة ابن اليمان: «أَنَّهُ دَخَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى

(١) قال في القاموس، ج١، ص٢٩٣: «الذود ثلاثة أبعرة إلى العشرة أو خمسة عشر أو عشرين أو ثلاثين».
(٢) في المصدر: قد وصل.
(٣) بحار الأنوار، ج٣٩، ص١٠٠.

رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مَرِيضٌ فَإِذَا رَأْسُهُ فِي حَجْرِ رَجُلٍ أَحْسَنِ الْخَلْقِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمٌ فَقَالَ الرَّجُلُ: ادْنُ إِلَى ابْنِ عَمِّكَ فَأَنْتَ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حَجْرِهِ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ سَأَلَهُ عَنِ الرَّجُلِ، قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: كَانَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **ذَاكَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام كَانَ يُحَدِّثُنِي حَتَّى خَفَّ عَنِّي وَجَعِي**».

وَفِي خَبَرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «كَانَ يُمْلِي عَلَيْهِ جَبْرَئِيلُ فَقَامَ ﷺ وَأَمَرَهُ بِكِتَابَةِ الْوَحْيِ»[1].

وروى محمد بن عمرو بإسناده عن جابر بن عبد الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا عَصَانِي قَوْمٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا رَمَيْتُهُمْ بِسَهْمِ اللهِ**.

قِيلَ: وَمَا سَهْمُ اللهِ يَا رَسُولَ اللهِ؟.

قَالَ ﷺ: **عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام مَا بَعَثْتُهُ فِي سَرِيَّةٍ وَلَا أَبْرَزْتُهُ لِمُبَارَزَةٍ إِلَّا رَأَيْتُ جَبْرَئِيلَ عليه السلام عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلَ عَنْ يَسَارِهِ وَمَلَكَ الْمَوْتِ عَنْ أَمَامِهِ وَسَحَابَةٌ تُظِلُّهُ حَتَّى يُعْطِيَهُ اللهُ خَيْرَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ**»[2].

وروي مشاهدته لجبرائيل عليه السلام على صورة دحية الكلبي حين سمّاه بتلك الأسامي، وحين وضع رأس رسول الله ﷺ في حجره، وقال: «**أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي**»، وحين كان يُملي الوحي ونعس النبيُّ ﷺ، وحين اشترى الناقة من الأعرابي بمائة درهم وباعها من آخر بمائة وستين، وحين غسل النبيّ ﷺ، وغير ذلك، وروى نحوًا منه أحمد في الفضائل.

وقد خدمه جبرائيل عليه السلام في عدة مواضع. روى عليُّ بن الجعد،

(١) بحار الأنوار، ج٣٩، ص١٠١.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٩، ص١٠١.

عن شعبة، عن قتادة، عن ابن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[1].

قال: لقد صام رسول الله صلى الله عليه وآله سبع رمضانات، وصام علي بن أبي طالب معه، فكان كل ليلة القدر ينزل فيها جبرائيل عليه السلام على علي فيسلم عليه من ربه.

وقال أحمد القصري عن أبي محمد العسكري، عن آبائه، عن الحسين بن علي عليه السلام قال: سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لَيْلَةَ أَسْرَى بِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ رَأَيْتُ فِي بُطْنَانِ الْعَرْشِ مَلَكًا بِيَدِهِ سَيْفٌ مِنْ نُورٍ يَلْعَبُ بِهِ كَمَا يَلْعَبُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بِذِي الْفَقَارِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ إِذَا اشْتَاقُوا إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام نَظَرُوا إِلَى وَجْهِ ذَلِكَ الْمَلَكِ.

فَقُلْتُ: يَا رَبِّ هَذَا أَخِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَابْنُ عَمِّي؟. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! هَذَا مَلَكٌ خَلَقْتُهُ عَلَى صُورَةِ عَلِيٍّ عليه السلام يَعْبُدُنِي فِي بُطْنَانِ عَرْشِي تُكْتَبُ حَسَنَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَتَقْدِيسُهُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[2].

وجاء في كفاية الطالب عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ وَإِذَا أَنَا بِمَلَكٍ جَالِسٍ عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ نُورٍ وَالْمَلَائِكَةُ تَحْدِقُ بِهِ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرَئِيلُ! مَنْ هَذَا الْمَلَكُ؟.

فَقَالَ: ادْنُ مِنْهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا أَنَا بِأَخِي وَابْنِ عَمِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَقُلْتُ: يَا جَبْرَئِيلُ! سَبَقَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ؟.

(١) سورة القدر، الآية: ٤-٥.

(٢) بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٥٣.

فَقَالَ: لَا يَا مُحَمَّدُ، وَلَكِنِ الْمَلَائِكَةُ شَكَتْ حُبَّهَا لِعَلِيٍّ فَخَلَقَ اللهُ هَذَا الْمَلَكَ مِنْ نُورِ عَلِيٍّ وَصُورَةِ عَلِيٍّ، فَالْمَلَائِكَةُ تَزُورُهُ فِي كُلِّ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ سَبْعِينَ مَرَّةً، وَيُسَبِّحُونَ اللهَ تَعَالَى وَيُقَدِّسُونَهُ وَيُهْدُونَ ثَوَابَهُ لِمُحِبِّ عَلِيٍّ عليه السلام»[1].

وجاء في مناقب الخوارزمي، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَوَّلُ مَنِ اتَّخَذَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَخًا مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ إِسْرَافِيلُ ثُمَّ مِيكَائِيلُ ثُمَّ جَبْرَائِيلُ، وَأَوَّلُ مَنْ أَحَبَّهُ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ رِضْوَانُ خَازِنُ الْجِنَانِ، ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ، وَإِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَتَرَحَّمُ عَلَى مُحِبِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام كَمَا يَتَرَحَّمُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام»[2].

ومن كتاب كفاية الطالب عن وهب بن منبّه، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مَا بَعَثْتُ عَلِيًّا فِي سَرِيَّةٍ إِلَّا رَأَيْتُ جَبْرَئِيلَ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلَ عَنْ يَسَارِهِ وَالسَّحَابَةَ تُظِلُّهُ حَتَّى يَرْزُقَهُ اللهُ الظَّفَرَ»[3].

وروى محمد بن علي بن عبد الصمد، عن أبيه، عن جده، عن أصباهان بن أسبوزن الديلمي، عن محمد بن عيسى الكابي، عن القعنبي، عن موسى بن وردان عن ثابت، عن أنس أن النبيَّ صلى الله عليه وآله قال: «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعِ رَأَيْتُ صُورَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَقُلْتُ: يَا جَبْرَئِيلُ هَذَا عَلِيٌّ فَأَوْحَى إِلَيَّ بِأَنَّ هَذَا مَلَكٌ خَلَقَهُ اللهُ فِي صُورَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يَزُورُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُسَبِّحُونَ وَيُكَبِّرُونَ وَثَوَابُهُمْ لِمُحِبِّي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام»[4].

(١) بحار الأنوار، ج٣٩، ص١٠٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٩، ص١١٠.
(٣) بحار الأنوار، ج٣٩، ص١١٠.
(٤) بحار الأنوار، ج٣٩، ص١١١.

وَعَنْ جَرِيرٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: صلى الله عليه وآله: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ضُرِبَ لِي عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ قُبَّةٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَضُرِبَ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ قُبَّةٌ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ، وَبَيْنَهُمَا قُبَّةٌ مِنْ زَبَرْجَدَةٍ خَضْرَاءَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، فَمَا ظَنُّكُمْ بِحَبِيبٍ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ؟»[1].

وَنَقَلَ أَبُو الْحَسَنِ الدَّارَقُطْنِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي الصَّحِيحِ وَالْحِلْيَةِ بِالْإِسْنَادِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نُصِبَ لِي مِنْبَرٌ طُولُهُ ثَلَاثُونَ مِيلًا، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ: أَيْنَ مُحَمَّدٌ؟ فَأُجِيبُ، فَيُقَالُ لِي: ارْقَ، فَأَكُونُ فِي أَعْلَاهُ، ثُمَّ يُنَادِي الثَّانِيَةَ: أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ فَيَكُونُ دُونِي بِمِرْقَاةٍ، فَيَعْلَمُ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَأَنَّ عَلِيًّا سَيِّدُ الْوَصِيِّينَ.

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَنْ يُبْغِضُ عَلِيًّا بَعْدَ هَذَا؟

فَقَالَ صلى الله عليه وآله: يَا أَخَا الْأَنْصَارِ لَا يُبْغِضُهُ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا سَفَحِيٌّ[2]، وَلَا مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَّا يَهُودِيٌّ، وَلَا مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَعِيٌّ[3]، وَلَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ إِلَّا شَقِيٌّ. -وفي رواية ابن مسعود-: وَمِنَ النِّسَاءِ إِلَّا سَلَقْلَقِيَّةٌ[4]»[5].

أما في قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[6].

(١) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٢٣٧.
(٢) أي من ولد من الزنى.
(٣) الدعي: المتهم في نسبه.
(٤) أي المرأة التي تحيض من دبرها.
(٥) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٢٣٧.
(٦) سورة النساء، الآية: ٦٩.

رَوَى عَبْدُ الله بْنُ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم **هَلْ نَقْدِرُ عَلَى رُؤْيَتِكَ فِي الْجَنَّةِ كُلَّمَا أَرَدْنَا؟**.

فَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: **إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقاً وَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ مِنْ أُمَّتِهِ. فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ»**(١).

وَرَوَى عَبَّادُ بْنُ صُهَيْبٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم -فِي خَبَرٍ- قِيلَ: «**يَا رَسُولَ الله فَكَمْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَلِيٍّ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى؟**.

قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: **فِتْرٌ أَوْ أَقَلُّ مِنْ فِتْرٍ**(٢) **أَنَا عَلَى سَرِيرٍ مِنْ نُورِ عَرْشِ رَبِّنَا وَ عَلِيٌّ عَلَى كُرْسِيٍّ مِنْ نُورِ كُرْسِيِّ رَبِّنَا لَا يُدْرَى أَيُّنَا أَقْرَبُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**(٣).

وَعَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ عَنِ الإمام الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: «**سُئِلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾**»(٤).

قَالَ: **نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَطُوبَى شَجَرَةٌ أَصْلُهَا فِي دَارِ عَلِيٍّ عليه السلام فِي الْجَنَّةِ وَلَيْسَ مِنَ الْجَنَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ فِيهَا»**.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «**وَفِي دَارِ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْهَا غُصْنٌ**»(٥).

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: «**لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ نُورًا ضَرَبَ**

(١) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٢٢٢.
(٢) الفتر -بالكسر فالسكون-: ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحتهما.
(٣) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٢٢٣.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٢٩.
(٥) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٢٢٦.

بِهِ وَجْهِي، فَقُلْتُ لِجَبْرَئِيلَ: مَا هَذَا النُّورُ الَّذِي رَأَيْتُهُ؟ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! لَيْسَ هَذَا نُورُ الشَّمْسِ وَلَا نُورُ الْقَمَرِ وَلَكِنْ جَارِيَةٌ مِنْ جَوَارِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صلى الله عليه وآله طَلَعَتْ مِنْ قُصُورِهَا فَنَظَرَتْ إِلَيْكَ وَضَحِكَتْ فَهَذَا النُّورُ خَرَجَ مِنْ فِيهَا، وَهِيَ تَدُورُ فِي الْجَنَّةِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام»[1].

وَنَقَلَ الْحَاكِمُ الْحَافِظُ فِي (أَمَالِيهِ) وَأَبُو سَعِيدٍ الْوَاعِظُ فِي (شَرَفِ الْمُصْطَفَى) وَأَبُو عَبْدِ اللهِ النَّطَنْزِيُّ فِي (الْخَصَائِصِ) بِأَسَانِيدِهِمْ أَنَّهُ حَدَّثَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَهُوَ آخِذٌ بِشَعْرِهِ، قَالَ: «حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ وَهُوَ آخِذٌ بِشَعْرِهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَهُوَ آخِذٌ بِشَعْرِهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وَهُوَ آخِذٌ بِشَعْرِهِ، فَقَالَ: **مَنْ آذَى أَبَا حَسَنٍ فَقَدْ آذَانِي حَقّاً وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ وَمَنْ آذَى اللهَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ**».

وفي رواية: «**وَمَنْ آذَى اللهَ لَعَنَهُ اللهُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ**»[2].

أورَدَ التِّرْمِذِيُّ فِي (الْجَامِعِ) وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي (الْحِلْيَةِ) وَالْبُخَارِيُّ فِي (الصَّحِيحِ) وَالْمَوْصِلِيُّ فِي (الْمُسْنَدِ) وَأَحْمَدُ فِي (الْفَضَائِلِ) وَالْخَطِيبُ فِي (الْأَرْبَعِينِ) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَبُرَيْدٍ:

«أَنَّهُ رَغِبَ عَلِيٌّ عليه السلام مِنَ الْغَنَائِمِ فِي جَارِيَةٍ فَزَايَدَهُ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ وَبُرَيْدَةُ الْأَسْلَمِيُّ فَلَمَّا بَلَغَ قِيمَتُهَا قِيمَةَ عَدْلٍ فِي يَوْمِهَا أَخَذَهَا بِذَلِكَ فَلَمَّا رَجَعُوا وَقَفَ بُرَيْدَةُ قُدَّامَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وَشَكَا مِنْ عَلِيٍّ فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ ص ثُمَّ جَاءَ عَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَشْكُو فَأَعْرَضَ عَنْهُ ثُمَّ قَامَ إِلَى بَيْنِ يَدَيْهِ فَقَالَهَا. فَغَضِبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَتَرَبَّدَ

(١) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٢٣٦.
(٢) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٣٣٢.

وَجْهُهُ[1] وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ وَقَالَ:

مَا لَكَ يَا بُرَيْدَةُ مَا آذَيْتَ رَسُولَ اللهِ مُنْذُ الْيَوْمِ أَمَا سَمِعْتَ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[2].

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ؟ وَأَنَّ مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ وَمَنْ آذَى اللهَ فَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُؤْذِيَهُ بِأَلِيمِ عَذَابِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. يَا بُرَيْدَةُ! أَنْتَ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ أَعْلَمُ؟ أَمْ قُرَّاءُ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَعْلَمُ؟ أَنْتَ أَعْلَمُ أَمْ مَلَكُ الْأَرْحَامِ أَعْلَمُ؟ أَنْتَ أَعْلَمُ يَا بُرَيْدَةُ! أَمْ حَفَظَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟.

قَالَ: بَلْ حَفَظَتُهُ.

قَالَ صلى الله عليه وآله: وَهَذَا جَبْرَئِيلُ أَخْبَرَنِي عَنْ حَفَظَةِ عَلِيٍّ أَنَّهُمْ مَا كَتَبُوا قَطُّ عَلَيْهِ خَطِيئَةً مُنْذُ وُلِدَ.

ثُمَّ حَكَى عَنْ مَلَكِ الْأَرْحَامِ وَقُرَّاءِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ[3] -وَفِيهَا- مَا تُرِيدُونَ مِنْ عَلِيٍّ؟. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ...»[4].

(١) تربد الرجل: تعبس، تربد اللون تغير.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

(٣) أي حكى رسول الله صلى الله عليه وآله عن ملك الأرحام وقُرّاء اللوح المحفوظ أن عليًّا لم يعص الله قط منذ خلق. ويمكن أن يكون فاعل (حكى) جبرائيل عليه السلام.

(٤) بحار الأنوار، ج٣٩، ص٣٣٣.

المحتويات

تمهيد ٧
الفصل الأول: الأَصْلُ الكَرِيمُ والميلادُ المُبَارَكُ ٩
الفصل الثَّاني: حَياتُهُ في عَهْدِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله ٢٣
الفصل الثالث: الإمَامُ عَليٌّ عليه السلام يُوَاجِهُ المِحْنَة ٤١
الفصل الرابع: عَهْدُ إمَامَتِهِ عليه السلام ٧٩
الفصل الخامس: فَضَائِلُهُ وَمَنَاقِبُهُ ١٣١
الفصل السادس: في فَضَائلهِ عليه السلام عَلى لسَان النَّبيِّ صلى الله عليه وآله ١٤٧